

التعليقاتُ السَّنيَّةُ
على

العقيدة الإلهية

تأليفُ

الشيخِ العالمةِ فَيضِ بنِ عَبْدِ الغَزِيَّيْنِ آلِ مُبَارَكِ

ت ١٣٧٦ هـ

تحقيق

عبد الإله بن عثمان الشَّايح

دار الصديقي

للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ج فيصل بن عبدالعزيز المبارك ، ١٤٢٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المبارك ، فيصل بن عبدالعزيز
التعليقات السنوية على العقيدة الواسطية. / فيصل بن عبدالعزيز
المبارك ؛ عبدالله بن عثمان الشايع .- الرياض ، ١٤٢٦ هـ
١٣٤ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك: ٩٩٦٠٠٥٢٠٠٥٢-٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ. الشايع ، عبدالله بن عثمان
(محقق) ب. العنوان

١٤٢٦/٧٧٤٨

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٧٧٤٨
ردمك: ٩٩٦٠٠٥٢٠٠٥٢-٨

حُقوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

المركز الرئيس : الرياض - شارع السويدي العام

ص. ب. ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢

الملكة العربية السعودية

فرع القصيم : عنيزة ، أمام جامع الشيخ (بن عثمان) يرحمه الله

هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تليفاكس ٣٦٢١٧٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فقد كان من طريقة العلماء في تقرير العقيدة الصحيحة تأليف متن جامع يُعنى ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، فرمما ألف أحدهم كتاباً يجمع بين أنواع التوحيد ، وربما اقتصر على نوع واحد من أنواعه .

وقد كان لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨) - رحمه الله - جهوداً جبارة في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة والذب عنها والتصدي للفرق التي انخرفت عن عقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .

ومن مؤلفاته العظيمة التي سارت بها الركبان وحفظها الطلاب والعلماء ودرسها أهل العلم « العقيدة الواسطية » ، التي قرر فيها أنواع التوحيد وبخاصة توحيد الأسماء والصفات الذي ضلّ فيه الكثير من الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام ، فقررها أحسن تقرير ، وحرّرها أجمل تحرير .

وقد كان من أوائل من تصدى للتعليق على هذه العقيدة العلامة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك (ت ١٣٧٦) - رحمه الله - ، فجاءت تعليقاته قليلة في ألفاظها ، نفيسة في معناها ، اعتمد في غالبها على كتب التفسير المعتمدة من أمثال : « تفسير الطبري » ، و « تفسير ابن عطية » ، و « تفسير ابن كثير » ، و « تفسير البغوي » ، وغيرها من المصادر المعتمدة .

وقد رأيت أنه من المناسب الاعتناء بنشر هذه التعليقات ، لما في ذلك من تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة ونشرها ، مع عزو النقول إلى مصادرها والتعليق على بعض المواطن القليلة مع العناية بالنص المخطوط ، وعزو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية دون إطالة ، لأن من أهم ما يجب على من يتصدى لنشر الكتب أن يعنى بسلامة نص الكتاب وإخراجه في أقرب صورة لما كان عليه الأصل المخطوط كما أراد مؤلفه .

* ثناء العلماء على « العقيدة الواسطية »^(١) :

أثنى على « العقيدة الواسطية » طائفة من العلماء منهم : الإمام الذهبي (ت ٧٤٨) ، وابن رجب (ت ٧٩٥) ، والشيخ محمد خليل هراس (ت ١٣٩٥) - رحم الله الجميع - ، حيث قال الشيخ هراس : « العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من أجمع ما كتب في عقيدة أهل السنة والجماعة مع اختصار في اللفظة ودقة في العبارة » .

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في فتاويها (٢/ ١٦٥):
«أما كتاب العقيدة الواسطية فهو كتاب جليل مشتمل على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة بالأدلة من الكتاب والسنة ، فنوصيك باعتقاد ما فيه والدعوة إلى ذلك » .

كما أثنى عليها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت ١٤٢٠) - رحمه الله - في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٧/ ١٧٩) .

وقال الشيخ محمد العثيمين (ت ١٤٢١) - رحمه الله - في كتاب العلم

(١) انظر : كتب أثنى عليها العلماء - المجموعة الأولى : كتب العقيدة - (ص / ١٠٦ - ١٠٧) .

(ص/ ١٧١) : « من أحسن ما يكون في العقيدة كتاب « العقيدة الواسطية »
 لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فهو زبدة مختصرة في عقيدة أهل السنة والجماعة ،
 وهي تحتاج إلى شرح ، ويحتاج المبتدئ إلى من يشرحها له . »

* شروح « العقيدة الواسطية »^(١) :

اعتنى العلماء وطلاب العلم بالعقيدة الواسطية شرحاً وتعليقاً وتحشية
 مما يدل على أهميتها ، ومن هذه الشروح :

- ١- التعليقات السنية على العقيدة الواسطية^(٢) للشيخ فيصل آل مبارك
 (ت ١٣٧٦) - رحمه الله - وهو أول تعليق على الواسطية ، وهو كتابنا هذا .
- ٢- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة
 للعلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦) - رحمه الله - ولسماحة
 الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت ١٤٢٠) - رحمه الله - تعليقات عليه .
- ٣- تعليقات على الواسطية للشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع
 (ت ١٣٨٥) - رحمه الله - .
- ٤- الثمار الشهية في شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس
 (ت ١٣٩٥) - رحمه الله - .
- ٥- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد بن عبدالعزيز بن
 فياض (ت ١٤٠٦) - رحمه الله - وهو أول شرح يطبع للعقيدة الواسطية .
- ٦- الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة للشيخ عبدالرحمن بن حمد الجطيلي
 (ت ١٤٠٤) - رحمه الله - .

(١) انظر : كتب أثنى عليها العلماء (ص/ ١٠٧-١١٠) .

(٢) سماه بهذا الاسم سبط المؤلف الشيخ محمد بن حسن آل مبارك .

- ٧- التنبهات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد (ت ١٤٠٨) - رحمه الله .
- ٨- الأسئلة النجدية على العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن علي الروق (ت ١٤٢٠) .
- ٩- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١) - رحمه الله .
- ١٠- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالعزيز محمد السلطان (ت ١٤٢٢) - رحمه الله .
- ١١- وله أيضاً : مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، اختصر فيه الكتاب السابق .
- ١٢- وله أيضاً : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية وهو شرح مطول .
- ١٣- الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن .
- ١٤- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ صالح بن فوزان الفوزان .
- ١٥- التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين .
- ١٦- المنحة الإلهية في شرح العقيدة الواسطية للشيخ عبدالرحمن بن مصطفى الغرابي .
- ١٧- التعليقات المفيدة على العقيدة الواسطية تعليق وتخرّيج عبدالله بن عبدالرحمن الشريف .

- ١٨- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ سعيد بن علي القحطاني .
- ١٩- شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية جمعه ورتبه الشيخ خالد بن عبدالله المصلح .
- ٢٠- شرح العقيدة الواسطية لأبي عبدالله خالد بن عبدالله الأنصاري .
- ٢١- شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ - قيد الطبع - عن دار المنهاج بالرياض .
- وأخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر للشيخ فيصل آل مبارك على ما قدم ، وأن يحشرنا معه ووالدينا وجميع المسلمين في جنات النعيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

عبدالإله بن عثمان الشايع

١٤٢٦/٤/٢٩

ص.ب. ٣٨٢٠٥٣ الرياض ١١٣٤٥

ترجمة المؤلف

هو الشيخ فيصل بن عبدالعزيز بن فيصل بن حمد المبارك المحدث الفقيه الأصولي المفسر النحوي الفرضي ، العالم العامل الزاهد الورع ، ولد رحمه الله في حرملاء عام ١٣١٣هـ ، وطلب العلم على علماء حرملاء في وقته ، ومنهم جدّه لأُمّه الشيخ العالم ناصر بن محمد الراشد ، وعمّه العلامة الشيخ محمد بن فيصل المبارك .

ثمّ طلب العلم على علماء الرياض فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف مفتي الديار النجدية ، والعلامة سعد بن حمد بن عتيق محدث الديار النجدية ، وأجازه الشيخ سعد في التفسير ، وكذلك أجازه في تدريس أمهات كتب الحديث ومذهب الإمام أحمد - رحمه الله - ، وأجازه الشيخ عبدالله العنقري بجميع مروياته ، وأجازه الشيخ عبدالعزيز النمر إجازة الفتوى عام ١٣٣٣هـ ، وهو في العشرين من عمره ، وأخذ علم النحو عن العلامة الشيخ حمد بن فارس ، وعلم الفرائض عن العلامة الشيخ عبدالله بن راشد الجلعود ، وغيرهم من أفاض العلماء رحمهم الله أجمعين .

*** جهود الشيخ - رحمه الله - في نشر العقيدة الصحيحة :**

كان الشيخ رحمه الله يهتم بتقرير العقيدة السلفية الصحيحة لطلبة العلم ، فكان طلبة العلم يتدبّون القراءة عليه في علوم العقيدة بـ « الأصول الثلاثة » ، ثم « كشف الشبهات » ، ثم « كتاب التوحيد » وجميعها لشيخ

الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، ثم يقرؤون بعد ذلك «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ، وغيرها من كتب العقيدة المهمة ، وقد أوصى الشيخ فيصل - رحمه الله - في وصيته لطلبة العلم بالابتداء بهذه الكتب التي تقدم ذكرها ^(١) .

*** جهود الشيخ - رحمه الله - في التأليف :**

ترك الشيخ - رحمه الله - العديد من المؤلفات في جميع العلوم الشرعية تصل إلى ثلاثين مؤلفاً هي :

١- (أقوال العلماء الأعلام على أحاديث عمدة الأحكام) مخطوط في مجلدين ضخمين - في سبعة ملازم - بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ عبدالمحسن أبابطين ، وهو مختصر عن شرح الشيخ الكبير على عمدة الأحكام ، وسيأتي ذكره .

ومنه أيضاً نسخة أخرى وصل فيها المؤلف إلى منتصف الجزء الأول، وهي بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ عبدالمحسن أبابطين .

٢- (بستان الأحبار^(٢)) باختصار نيل الأوطار) للشوكاني ، في مجلدين ، وقد طبع مرتين ، أولاهما في حياة الشيخ عام ١٣٧٤هـ ، وآخرهما عن دار إشبيلية عام ١٤١٩هـ .

(١) انظر : « نصيحة جامعة ووصية نافعة » للشيخ فيصل المبارك (ص ٧٥-٧٨) ، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الزير .

(٢) أحبار - بالحاء المهملة - : جمع حَبْر وهو العَالِم ، وابن عباس - رضي الله عنهما - هو حبر هذه الأمة أي : عالمها .

٣- (تجارة المؤمنين في المراجعة مع رب العالمين) مجلد في ٢٧١ صفحة،
 طبع مرتين بدمشق أولاها على نفقة الأمير عبدالرحمن السديري عام
 ١٣٧٢هـ ، وآخرهما على نفقة تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن عطا الشايع
 عام ١٤٠٤هـ والطبعة الأولى هي الأتقن .

٤- (تطريز رياض الصالحين)، وقد طبع الكتاب مؤخراً في عام
 ١٤٢٣هـ عن دار العاصمة ، بتحقيق الشيخ الدكتور عبدالعزيز الزير .

٥- (التعليقات السنية على العقيدة الواسطية) وهو كتابنا هذا .

٦- (توفيق الرحمن في دروس القرآن) في أربعة أجزاء ، وقد طبع مرتين،
 أولاها : عام ١٣٧٦هـ ، وآخرهما عام ١٤١٦هـ عن دار العاصمة
 بالرياض ، بعناية الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الزير في أربعة
 مجلدات .

٧- (تعليم الأحب أحاديث النووي وابن رجب) وقد طبع قديماً ضمن
 (المختصرات النافعة) .

٨- (الحجج القاطعة في الموارث الواقعة) .

وهذه الرسالة قد طُبعت ثلاث مرات - تحت اسم (الدلائل القاطعة) -
 ضمن مجموع (المختصرات النافعة) ، وقد انتهى الشيخ محمد بن حسن
 المبارك من تحقيقه على نسخة خطية ، وقد طبع مؤخراً .

٩- (خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام) ، مجلد في أربعمئة صفحة ،
 وهو اختصار لشرحيه على العمدة الكبير والمتوسط ، وقد طبع أربع
 طبعات :

- أولها عام ١٣٨٠هـ بمكتبة التوفيق بالرياض .

- وثانيها عام ١٣٨٠هـ في مكتبة البابي الحلبي بمصر ، في ثلاث سنوات متتاليات ، لما كان شرح الشيخ مقرأً على طلبة المعهد العلمي .
- وآخرها عام ١٤١٢هـ بمكتبة الرشد بالرياض .
- ١٠- (زبدة المراد فهرس مجمع الجواد)^(١) مخطوط ، والموجود منه فهرست الجزء الأول من مجمع الجواد في تسع وعشرين ورقة - بخط الشيخ إسماعيل البلال أحد تلامذة الشيخ ، وكان المخطوط لديه رحمه الله - ، يقول المصنّف رحمه الله في آخرها : « تم فهرس الجزء الأول من مجمع الجواد بحمد الله تعالى » .
- وعنه مصوِّرة بدارة الملك عبدالعزيز ، مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .
- ١١- (السيكة الذهبية على متن الرحبية) .
- صدرت هذه الرسالة في عام ١٣٧٩هـ عن المكتبة الأهلية ، وقد تمّ طبعتها - آنذاك - في مصر في مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- وفي عام ١٤٠٦هـ قامت دار العليان بالقصيم بطباعتها بمطابع السلطان مرة أخرى .
- ثم في عام ١٤١٩هـ قامت دار الأرقم بطباعتها بعناية وتحقيق الأستاذ عبدالله الزاحم - أثابه الله - .
- كما أن الرسالة قد طُبعت قديماً ضمن مجموعة الرسائل الكمالية .

(١) ومجمع الجواد هو حاشية للشيخ على الروض المربع ، وسيأتي الكلام عنه .

وفي الطبقات الأخيرة اعتمد الناشر على طبعة المكتبة الأهلية . وقد حققه الشيخ محمد بن حسن المبارك ^(١) .

١٢- (صلة الأحباب شرح ملححة الإعراب) ، وهو - فيما يظهر لي - مفقود .

١٣- (غذاء القلوب ومفرج الكرب) طبع قديماً ضمن مجموع (المختصرات النافعة) .

١٤- (الغرر النقية شرح الدرر البهية) طبع بتحقيق أخينا الشيخ محمد ابن حسن المبارك - حفظه الله - عن دار إشبيلية بتاريخ ١٤٢٦هـ .

١٥- (القصد السديد شرح كتاب التوحيد) في مجلد ، طبع عام ١٤٢٦هـ عن دار الصميعي بتحقيقي .

١٦- (القول الصائب في حكم بيع اللحم بالتمر الغائب) رسالة وجيزة مخطوطة في مكتبة الملك فهد بدون تصنيف ، وعنه مصورة بدارة الملك عبدالعزيز / مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

١٧- (القول في الكرة الجسيمة الموافق للفترة السليمة) .
ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد في مجلد - تصنيف رقم (٣/٢٦١) -
وعنها مصورة بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

١٨- (كلمات السداد على متن زاد المستقنع) للحجاوي ، وهو شرح

(١) وقد جمع أيضاً بين الرسالتين « السبيكة الذهبية » و « الحجج القاطعة » في كتاب واحد ، وطبعاً مؤخراً عن دار إشبيلية عام ١٤٢٦هـ .

لطيف في مجلد ، طبع مرتين آخرهما عام ١٤٠٥هـ عن مكتبة النهضة .
١٩- (لباب الإعراب في تيسير علم النحو لعامة الطلاب) وهذه الرسالة عبارة عن متن مختصر في عدة أوراق في علم النحو ، وقد حققها الشيخ محمد بن حسن المبارك وطبعت في عام ١٤٢٥هـ .

٢٠- (لذة القارئ مختصر فتح الباري) في ثمانية مجلدات^(١) ، ذكر الشيخ عبدالمحسن أبابطين أنه تحت الطبع ، والشيخ عبدالمحسن من أعرف الناس بكتب الشيخ فيصل لأنه طبع أكثرها في مكتبته الأهلية ، وبعضها طبعت بواسطته في غيرها من المكتبات مثل مكتبة مصطفى الباي بمصر ، وقال الزركلي : شرع بعض الفضلاء بطبعه^(٢) . إلا أن هذا الكتاب - وللأسف الشديد - في حكم المفقود .

٢١- (مجمع الجواد^(٣) حاشية شرح الزاد) مخطوط ، وهو شرح كبير مطول على الروض المربع ، وذلك أن الشيخ رحمه الله في الشرحين التاليين على الروض - كما سيأتي - انتقى مسائل خلافية معينة فشرحها ، أما في هذا المطول فقد وجه عنايته إلى غالب المسائل الخلافية في الروض .

إلا أن الشيخ رحمه الله لم يكمله ، إذ ابتداء بتأليفه وقد ألمَّ به المرض ، ولذلك يقول في كتاب البيوع منه : « لم نكتب من مجمع الجواد إلا هذا القليل من كتاب البيع إلى هنا^(٤) ، فعسى الله أن يسر تمامه في حياتنا أو بعد

(١) اعتمدت تسمية الشيخ عبدالمحسن أبا بطين للكتاب ، بينما تسميه بعض المصادر المترجمة للشيخ (تذكرة القارئ) .

(٢) الأعلام للزركلي ١٦٨/٥ .

(٣) الجواد - بتشديد الدال - : جمع جادة ، وهي الطريق الواضح المستقيم .

(٤) الحق أن عبارة الشيخ هذه تشكل بعض الشيء ؛ إذ تشعر بأن الشيخ لم يكتب من =

موتنا ، إنه على كل شيء قدير ، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك^(١) .
إلا أن الشيخ بعد ذلك أحسَّ من نفسه نشاطاً فكتب منه فصولاً ،
وتوفي رحمه الله وقد انتهى إلى (باب القرض) .

ولو تم هذا الشرح لكان كتاباً ضخماً جداً ، إذ أن فهرس الجزء الأول
منه بخط مؤلفه يقع في تسع وعشرين صفحة ، أما (كتاب البيوع) منه
- وهو الجزء الثالث من الشرح - فيقع في مجلد كبير ، وهذا القدر من
الكتاب هو الموجود منه ، والباقي مفقود .

ومن الجزء الثالث نسخة مخطوطة في مكتبة الملك فهد تحتوي على كتاب
البيوع فقط في مجلد ، وكذلك في خمسة ملازم صغيرة ، تصنيف رقم (٢٦٤/
٣) (٣/٢٦٥) (٣/٢٦٦) (٣/٢٦٧) تحت اسم : حاشية على بعض
عبارات الزاد وشرحه ، وعنهما مصورة بدارة الملك عبدالعزيز / مجموعة
الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

٢٢- (محاسن الدين بشرح الأربعين النووية) طبع ضمن المجموعة
الجليلة ، ثم طبع مفرداً عن دار الرشيد عام ١٤١٤هـ ، ثم عن دار إشبيلية

= «مجمع الجواد» إلا من كتاب البيع إلى الموضع الذي توقف عنده ، ولكن الشيخ
رحمه الله كتب فوق طُرَّة (كتاب البيع) من الشرح - ما يلي - : «الجزء الثالث من
مجمع الجواد حاشية شرح الزاد» ، مما يدل على أنه كتب الأول والثاني - قبل
ذلك - ، لا سيما وأن فهرس الجزء الأول من «مجمع الجواد» بين أيدينا ، وهو
بخط إسماعيل البلال - رحمه الله - أحد تلامذة الشيخ ، كما أن الأصل في
الشروحات أن يتناول الكاتب المتن مرتباً ، لا سيما وأن هذا هو منهج الشارح
- رحمه الله - في شرحه السابقين .

(١) مجمع الجواد ، مخطوط - ج ٣ : كتاب البيع .

باليضا عام ١٤٢٠هـ .

٢٣- (مختصر الكلام شرح بلوغ المرام) لابن حجر ، طبع ضمن (المجموع الجليلية) ، ثم طبع مفرداً عن المجموعة في الرياض عن دار إشبيلية عام ١٤١٩هـ .

٢٤- (مختصر المرتع المشبع) مخطوط في مجلد ، منه نسخة في مكتبة الملك فهد ، تصنيف رقم (٣/٢٥٠) ، وصل فيه إلى كتاب الجنائز ، وعنها مصورة بدارة الملك عبدالعزيز / مجموع الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

٢٥- (المرتع المشبع شرح مواضع من الروض المربع) مخطوط في أربعة أجزاء وستة مجلدات كبيرة .

في مكتبة الملك فهد ، تصنيف رقم (٣/٢٢٣) (٣/٢٢٥) (٣/٢٢٤) ، (٣/٢٢٦) ، وعنها مصورة بدار الملك عبدالعزيز / مجموعة الشيخ فيصل ابن عبدالعزيز المبارك .

٢٦- (مفاتيح العربية على متن الأجرومية) ، وهو شرحٌ ممتع متوسط على متن الأجرومية ، وقد طُبع قديماً ضمن مجموعة الشيخ المسماة (المختصرات الأربع النافعة) ، تحت اسم (مفتاح العربية على متن الأجرومية) .

وقد انتهى الأخ الشيخ عبدالعزيز بن سعد الدغيشر من تحقيق الكتاب ومقابلته على النسخة الخطية المذكورة وهو قيد الطبع عن دار الصمعي بالرياض .

٢٧- (مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد) ، طُبع ضمن (المجموعة الجليلية) ، ثم طبع مفرداً عام ١٤١٣هـ عن دار السلف ، بتحقيق الباحث

الفاضل الشيخ راشد بن عامر الغفيلي .

٢٨- (نصيحة المسلمين) وهي رسالة لطيفة طبعت في مكة المكرمة ، في عام ١٣٥٤هـ تقريباً ، ثم طبعت في الكويت في أواخر حياة الشيخ تحت اسم : نصيحة دينية ، على نفقة الشيخ عطا الشايع الكريع الجوفي رحمهما الله .

٢٩- (نقع الأوام^(١)) بشرح أحاديث عمدة الأحكام ، وهو الشرح الكبير على عمدة الأحكام ، خمسة أجزاء كبار ، في إحدى عشرة مجلدة .
ومنه مخطوطة كاملة ، بخط الشيخ فيصل رحمه الله في مكتبة الملك فهد / تصنيف مكتبة حريملاء ، تحت الأرقام : (٣/٢٢٨) (٣/٢٤٧) (٣/٢٥١) (٣/٢٣١) (٣/٢٥٦) (٣/٢٥٥) (٣/٢٤١) (٣/٢٣٠) (٣/٢٦٠) (٣/٢٣٩) (٣/٢٣٨) .

٣٠- (وصية لطلبة العلم) رسالة لطيفة ، في آخرها كتب الشيخ رحمه الله (وقع الفراغ منه في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ) .
وقد قام بتحقيق هذه الرسالة مع (نصيحة المسلمين)^(٢) الدكتور عبدالعزيز الزير عام ١٤٢٤هـ .

* وفاته :

توفي رحمه الله في منطقة الجوف عام ١٣٧٦هـ عن ثلاثة وستين عاماً

(١) للنقع معان عدة ، منها : الرئي بعد الظماً ، و « الأوام » : شدة العطش .

(٢) تحت عنوان « نصيحة نافعة ووصية جامعة » للشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

قضاياها في الجهاد والتعليم والتصنيف^(١) .

*** أهمية الكتاب :**

لعل هذا الكتاب - كما يظهر لي - هو أول تعليق على « العقيدة الواسطية » وهناك شرح للواسطية لعالمٍ معاصر للشيخ فيصل ومتوفٍ في نفس العام الذي توفي فيه الشيخ فيصل ألا وهو العلامة الشيخ عبدالرحمن ابن ناصر السعدي رحمه الله ، وشرحه هو المعروف بـ « التعليقات المنيفة على ما في الواسطية من المباحث الشريفة » وقد ألفه الشيخ السعدي عام ١٣٧٢هـ .

إلا أن كتابنا هذا فيما يظهر ألف قبل عام ١٣٧٢هـ ، إذ إن الشيخ فيصل رحمه الله وهو المتوفى عام ١٣٧٦ قد اهتم في آخر حياته بـ « الروض المربع » فشرحه في كتابه « المرتع المشبع » في أربعة مجلدات ضخمة وكان تأليفه لهذا الكتاب قبل عام ١٣٧١هـ ، كما يدل على ذلك رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن سعدي إلى الشيخ فيصل - رحمهما الله - بتاريخ الأول من رجب من عام ١٣٧١هـ .

ثم شرحه الشيخ فيصل « المرتع المشبع » بكتابه « مجمع الجواد » وهو

(١) انظر في مصادر ترجمة الشيخ فيصل رحمه الله :

«علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام رحمه الله (٣٩٢-٤٠٢) ، و«الأعلام» للزركلي (١٦٨/٥) ، و«مشاهير علماء نجد» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ (ص٣٩٨) ، و«العلامة المحقق والسلفي المدقق : الشيخ فيصل المبارك» لفيصل ابن عبدالعزيز البديوي ، « المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك » للشيخ محمد بن حسن المبارك ، معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية لعلي جواد الطاهر (١٠٤٥-١٠٤٩) ، ومعجم مصنفات الخنابلة للدكتور عبدالله الطريقي (٢٦-٣٢) .

كتاب ضخيم وصلنا منه شرح كتاب البيوع في مجلد كبير ، مما يدل على تقدم تأليف الشيخ فيصل لشرح الواسطية ، لا سيما إذا علمنا أن الشيخ فيصل أدرج شرحه على الواسطية في موسوعته المسماة بـ « زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام » ، وفيه عدة مؤلفات له ^(١) ، وجلها من أقدم مؤلفاته ، والله أعلم .

* وصف النسخة الخطية :

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة خطية وحيدة بخط المؤلف - رحمه الله - وهذه النسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد ضمن مجموع « زبدة الكلام » تصنيف رقم (٣/٢٥٨) (٣/٢٢٩) في ٤٥ ورقة ، كل ورقة متوسط عدد سطورها ٢٦ سطراً تقريباً ، حصلت على هذه المخطوطة بواسطة الشيخ محمد بن حسن المبارك - بارك الله فيه - ^(٢) .

* * *

(١) ضمت هذه الموسوعة عدة كتب هي : محاسن الدين على متن الأربعين ، تعليقات على عمدة الأحكام ، وشرح كتاب التوحيد ، والتعليقات على العقيدة الواسطية ، والتعليقات على بلوغ المرام ، والتعليقات على الدرر البهية ، ونبذة في أصول الفقه ، وغذاء القلوب ومفرج الكرب .
ومن هذا المجموع مخطوطة في ثلاثة مجلدات في مكتبة الملك فهد ، وعنها مصورة في داره الملك عبدالعزيز .

(٢) وقد ضحى بالكثير من وقته في سبيل خروج هذا الكتاب . فجزاه الله خيراً .

١٠٩

الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين من عباده الصالحين من عباده الصالحين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين من عباده الصالحين من عباده الصالحين

الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين من عباده الصالحين من عباده الصالحين

الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين من عباده الصالحين من عباده الصالحين

الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين من عباده الصالحين من عباده الصالحين

الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين من عباده الصالحين من عباده الصالحين

الحمد لله الذي جعلنا من عباده الصالحين من عباده الصالحين من عباده الصالحين

التعليقاتُ السَّيِّئَةُ
عَلَى

العقيدة الواسطية

تأليفُ

الشيخِ العالِمِ فَيضِ بنِ عَبْدِ الغَزِيَّالِ مُبَارَكِ

ت ١٣٧٦ هـ

تحقيقُ

عبدِ الإلهِ بنِ عِثْمَانَ الشَّايِعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً .

وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً مزيداً .
أما بعدُ : فهذا اعتقادُ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ إلى قيامِ الساعةِ : أهلُ السنَّةِ والجماعةِ .

وهو الإيمانُ بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والبعثُ بعدَ الموتِ ، والإيمانُ بالقدرِ خيرِه وشرِّه .

هذا الكتاب هو « العقيدة الواسطية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ، شيخ الإسلام والمسلمين ، وقامع أهل البدع والملحدن ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى .
قوله : « أما بعدُ : فهذا اعتقادُ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ إلى قيامِ الساعةِ : أهلُ السنَّةِ والجماعةِ » يشير إلى قوله ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : « مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي »^(١) .

(١) رواه أبو داود برقم (٤٥٩٦) ، والترمذي (٢٦٤٠) ، وابن ماجه (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٣) .

وقوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى »^(١) .

قوله: « وهو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورأسه ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره » يشير إلى ما وقع في حديث سؤال جبريل النبي ﷺ عن: الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

وفيه قال - أي جبريل - : فأخبرني عن الإيمان؟ قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » ، قال : صدقت. وقال النبي ﷺ في آخره : « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »^(٢) .

* * *

(١) رواه مسلم برقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه ، وقد ورد بنحوه عن غير واحد من الصحابة .

(٢) رواه البخاري برقم (٥٠) (٤٧٧٧) ، ومسلم برقم (٩) .

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ : الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْنِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَا يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ، وَلَا يُكَيِّفُونَ ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ ، وَلَا كُفَاءَ لَهُ ، وَلَا نِدَاءَ لَهُ ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ ، وَأَصْدَقُ قِيلاً ، وَأَحْسَنُ حَدِيثاً مِنْ خَلْقِهِ .

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٦﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٧﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الصافات] ، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمَخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ ، وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنْ التُّقْصِ وَالْعَيْبِ .

وهو سبحانه قد جَمَعَ فيما وصفَ وسمّى به نفسه بين التثني والإثبات ، فلا عُدُولَ لأهل السنّة والجماعة عمّا جاء به المرسلون ؛ فإنه الصّراطُ المستقيم ، صراط الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصّالحين .

وقد دَخَلَ في هذه الجُمْلَةِ :

ما وصفَ اللهُ به نفسه في سورة الإخلاص ، التي تعدلُ ثلثَ القرآن ، حيث يقول : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ .

وما وصفَ به نفسه في أعظم آية في كتابه ؛ حيث يقول : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ

ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا * وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿سورة البقرة: ٢٥٥﴾ ؛ ولهذا كان مَنْ قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظاً ، ولا يقربه شيطانٌ حتى يصبح .

قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي : هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله .

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ قال ابن عباس : يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم ، وعنه أيضاً : الصمد الذي لا جوف له ، وقاله كثير من المفسرين ^(١) .

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ولم يكن له كفواً أحدٌ ﴿١﴾ أي : ليس له ولدٌ ، ولا والدٌ ، ولا صاحبةٌ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ صَوِّجَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْفُلُ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٠١] .

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أنسب لنا ربك . فأنزل الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ولم يكن له كفواً أحدٌ ﴿١﴾ رواه أحمد وغيره ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي : هو المتفرد بالإلهية .

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أي : الحي الذي لا يموت أبداً . القيوم : القائم على

* قال المؤلف في الهامش : أي لا يكرهه ولا يتقله .

(١) انظر : تفسير الطبري (٧٣١/٢٤) ، ومجموع الفتاوى (٢٢٤/١٧) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٤) ، والإمام أحمد في مسنده رقم (٢١٢١٩) (١٤٣/٣٥) ،

والحاكم في المستدرک (٥٤٠/٢) ، وحسنه الألباني .

كل شيء ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه ، وهو غني عنها .
 ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ ﴾ أي : نعاس ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ، ﴿ لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً .

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ بأمره .
 ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الدنيا والآخرة .
 ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ أي : لا يحيطون بشيء من
 علم الغيب إلا بما شاء أن يطلعهم عليه مما أخبر به الرسل .
 ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أي : ملأ وأحاط ، قال ابن عباس :
 الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يُقدَّرُ أحدٌ قدره .
 ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ أي لا يثقله ولا يشقُّ عليه .
 ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ قال البغوي : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ الرفيع فوق خلقه ،
 والمتعالى عن الأشباه والأنداد .
 ﴿ الْعَظِيمُ ﴾ الكبير الذي لا شيء أعظم منه ^(١) .

* * *

(١) تفسير البغوي (ص ١٥٩) . ط. دار ابن حزم ، بيروت .

وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] ، وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ٢] ، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبا: ١-٢] ، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِزْقِهِ إِلَّا لَا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [فاطر: ١١] ، وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَمَّا أَنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] .

- قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ أي الذي ليس قبله شيء .
- ﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء .
 - ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء .
 - ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء .
- ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ظاهره وباطنه وأوله وآخره .
- قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ أي فإنه حقيق بالتوكل عليه ، لأنه باق على الأبد ، والحياة صفة الله تعالى .
- قوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .
- ﴿الْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية .
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي : يدخلُ فيها من الماء والأموات وغير ذلك .
- ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره ، والأموات إذا حُشِرُوا .
- ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الملائكة والأمطار وغير ذلك .

﴿وَمَا يَعْرِجُ فِيهَا﴾ من الملائكة والأعمال الصالحة وغير ذلك .

قوله : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ مفاتيح الغيب: خزائنه.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ » . رواه البخاري (١) .

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي : ويعلم

الحركات حتى من الجمادات .

﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يعني :

مكتوبٌ في اللوح المحفوظ .

قوله تعالى : ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ أي : هو عالمٌ

بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء .

قوله تعالى : ﴿لِنَعْلَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ،

وأول الآية ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ فالوحي

من السماء السابعة إلى الأرض السفلى .

قال قتادة : في كل أرض من أرضه وسماؤه من سمائه ، خلق من خلقه ،

وأمر من أمره ، وقضاء من قضائه ، ﴿لِنَعْلَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فلا يخفى عليه شيء .

* * *

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، وقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾ [النساء : ٥٨] ، وقوله : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف : ٣٩] ، وقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقوله : ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة : ١] ، وقوله : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ أي : الرزاق لجميع خلقه ، وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة .

قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

ففي قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد للتشبيه ، وفي قوله : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردٌ للتعطيل . فتضمنت إثبات صفات الكمال لله تعالى ، ونفي التشبيه عنه تبارك وتعالى .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾ وأول الآية : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا﴾ أي : نعم الشيء الذي يعظكم به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾ أي : سميعاً لأقوالكم بصيراً بأفعالكم .

وعن أبي هريرة أنه قرأ هذه الآية ، و يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول: «هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع أصبعيه» رواه أبو داود وغيره^(١) . ومعنى ذلك إثبات السمع والبصر حقيقة لا تشبيه السمع بالسمع والبصر بالبصر ، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ أي: هي بمشيئة الله إن شاء أبقاها ، وإن شاء أفناها .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ وأول الآية قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيْنَتُ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ ﴾ أي : كل ذلك عن قضاء الله وقدره ﴿ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ فيوفق من يشاء فضلاً ، ويخذل من يشاء عدلاً .

قوله تعالى : ﴿ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْهِيْمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ أي : أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها إلا ما كان منها وحشياً فإنه صيد لا يحل لكم في حال الإحرام ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ أي: هو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه .

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ أي: يفتح قلبه

(١) رواه أبو داود برقم (٤٧٢٨) ، وابن حبان برقم (٢٦٥) . قال أبو داود : وهذا رد على الجهمية . قال الألباني : صحيح الإسناد .

وينوره حتى يقبل الإسلام ، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾
 أي: لا يتسع لشيء من الهدى ولا يخلصُ إليه ما ينفعه من الإيمان ،
 وليس للخير فيه منفذٌ ، ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي : يشقُّ عليه
 الإيمانُ كما يشقُّ عليه صعود السماء ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

* * *

وقوله : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، ﴿ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] ، ﴿ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] ، وقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُم بَلِيغًا مَرْمُوسًا ﴾ [الصف: ٤] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٤] . وقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل: ٣٠] ، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧] ، ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ، ﴿ وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] ، ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧] ، ﴿ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤] .

قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الإحسان : هو أعلى مقامات الطاعة ، قال ابن جرير : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾ أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائضي ، وتجنب ما أمرتكم بتجنبه من معاصي ، ومن الإنفاق في سبيلي ، وعود القوي منكم على الضعيف ذي الخلة ، فإني أحب المحسنين في ذلك ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَطُوا ﴾ أي : اعدلوا في الحكم في الفئتين المتقاتلتين .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين ،

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٦) .

الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» رواه مسلم^(١) .
 قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي :
 متى استقاموا على العهد فاستقيموا لهم .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ قال ابن كثير : ﴿إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ أي : من الذنب وإن تكرر غشيانه . ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
 أي : المنتزهين عن الأقدار والأذى ، وهو ما نُهوا عنه من إتيان الحائض ، أو
 في غير المأثي^(٢) .

قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن كثير : أي :
 يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه ، وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من
 الأول ، كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تُحِبَّ ، إنما الشأن
 أن تُحَبَّ^(٣) .

ثم قال تعالى : ﴿وَيَنْفِرْ لَكُمْ دُونَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهذه الآية الكريمة
 حاكمة على كل من ادّعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه
 كاذبٌ في نفس الأمر . قال الحسن البصري : زعم قومٌ أنهم يحبون الله
 فابتلاهم الله بهذه الآية .

قوله تعالى : ﴿مَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ فيه إثبات صفة محبة الله تعالى
 لعباده على ما يليق بجلاله ، قال الحسن : علم الله تبارك وتعالى أن قوماً

(١) برقم (١٨٢٧) ، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٩٢) . دار طيبة ، تحقيق سامي السلامة .

(٣) المرجع السابق (٢/٣٢) :

يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبرنا أنه سيأتي بقوم يجبههم ويحبونه.

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنًا مَرْصُومًا ﴾ روى أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال »^(١).

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ قال ابن كثير : أي : يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ، ولو كان الذنب من أي شيء كان^(٢) .
والودود : قال ابن عباس وغيره : هو الحبيب .

قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ في الحديث : « أن عيسى عليه السلام قال للمعلم الرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة »^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ وأول الآية : ﴿ الَّذِينَ يَجْلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ أي : رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلمك يحيط بجميع أعمالهم وأحوالهم ﴿ فَأَعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٨٤/١٨) رقم (١١٧٦١) ، وابن ماجه برقم (٢٠٠) ،

وأبو يعلى (١٠٠٤) ، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣١٠٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٠٠/٤) بتصرف .

(٣) انظر : القصة في كتاب : عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث لشيخ

الإسلام ابن تيمية (٦١/١) .

قوله تعالى : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون ، ولأمره متبعون^(١) . ﴿يَحِثُّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي : عمّت كل شيء ، قال الحسن : وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة.

قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ قال ابن كثير : أي : أوجبها على نفسه الكريمة ؛ تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي : الغفور لذنوب من تاب وأتاب من عباده حتى من الشرك ، الرحيم بمن آمن به وأطاعه .

قوله تعالى : ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي : فسيرحم كبري وضعفي ، ووجدي بولدي ، وأرجو من الله أن يرده عليّ ، ويجمع شملي به ، إنه أرحم الراحمين ، فهو أرحم لعباده من كل أحد .

* * *

(١) تفسير الطبري (١٩/١٢٤-١٢٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٦٢) .

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] ، وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨] ، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] ، وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِيُعَاقِبَهُمْ فَتَنَّبَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] ، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] .

قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى عز وجل: رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له ما وعدوه، من العمل بطاعته واجتناب معاصيه ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ يقول: ورضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه ، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) .

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ أي: عامداً قتله ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بقتله إياه متعمداً ﴿وَلَعَنَهُ﴾ أبعده من رحمته وأخزاه وأعد له عذاباً عظيماً ، وهذا تهديد شديد ووعد أكيد لمن فعل هذا الذنب العظيم .

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ من طاعة الشيطان ﴿وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾ من طاعة الرحمن ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ لأنها عملت في غير مرضاته .

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بعاجل العذاب ﴿فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

(١) تفسير الطبري (٩/١٤٢-١٤٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ أُنْيَاعَهُمْ فَشَبَّطَهُمْ ﴾ أي : منعهم وحبسهم عن الخروج ﴿ وَقِيلَ أَفَعَدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ قال البغوي : أي : عظم ذلك في المقت والبغض عند الله ، أي : أن الله يبغض بغضاً شديداً أن تقولوا ما لا تفعلون ، أي : أن تعدوا من أنفسكم شيئاً ثم لم تفوا به^(١) .

وقال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا اصدقوا الله ورسوله ، ﴿ لِمَ تَقُولُونَ ﴾ القول الذي لا تُصدّقونه بالعمل ، فأعمالكم مخالفة أقوالكم ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ يقول : عظم مقتاً [عند ربكم قولكم ما لا تفعلون]^(٢) .

* * *

(١) تفسير البغوي (ص ١٣٠٨) ط. دار ابن حزم .

(٢) تفسير الطبري (٦٠٦/٢٢) ، وما بين المعقوفين من المرجع نفسه ، حيث طمس السطر الأخير من الورقة المخطوطة .

وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] . وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [٢١] ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢١-٢٢] ، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ قال ابن كثير : يقول تعالى مهتداً الكافرين ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ يعني: يوم القيامة ، لفصل القضاء بين الأولين والآخرين ، فيجزى كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾^(١) .

قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ قال ابن جرير : يقول جلُّ ثناؤه هل ينظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت ، فتقبض أرواحهم ، أو أن يأتيهم ربك - يا محمد - للقضاء بين خلقه في موقف القيامة ، ﴿ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ يقول : أو أن يأتيهم بعض آيات ربك ، وذلك - فيما قال أهل التأويل - : طلوع الشمس من مغربها^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ قال ابن كثير : أي وطئت ومُهتت وسُوّيت الأرض والجبال ، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ، ﴿ وَجَاءَ

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٧٠) .

(٢) تفسير الطبري (١٠/١١-١٢) .

رَبِّكَ ﴿ يعني : لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق - صلوات الله وسلامه عليه - فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء ، فيشفعه الله تعالى في ذلك ، - وهي أول الشفاعات - ، وهي المقام المحمود ، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً^(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّمِيمِ وَزُلَّ الْمَلَكُ تَزِيلًا ﴾ قال ابن جرير : وتأويل الكلام : ويوم تشقق السماء عن الغمام ، وقيل أن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظل على بني إسرائيل ، ثم ذكر عن مجاهد قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّمِيمِ ﴾ قال: هو الذي قال : ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْفَكَاكِرِ ﴾ ، الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل . قال ابن جريج : الغمام الذي يأتي الله فيه ، غمام زعموا في الجنة . وذكر بسنده عن عبدالله بن عمرو قال : يهبط الله حين يهبط ، وبينه وبين خلقه سبعون [ألف] حجاب منها النور والظلمة والماء ، فيضرب الماء في تلك صوتاً تنخلع له القلوب^(٢) .

وعن عكرمة في قوله: ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْفَكَاكِ وَالْمَلَكُ ﴾ يقول: والملائكة حوله .

وعن ابن عباس قال : إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣٩٩) .

(٢) تفسير الطبري (١٧/٤٣٦-٤٣٧) .

الأرض ، فيقول أهل الأرض: جاء ربنا. فيقولون : لم يجيء وهو آتٍ ، ثم تشقق السماء الثانية ، ثم سماءً سماءً ، على قدر ذلك من التضعيف ، إلى السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السماوات ، ومن الجن والإنس . قال : فتنزل الملائكة الكروبيون^(١) ، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية ، بين كعب كل ملك^(٢) وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة ، قال : وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين يديه يقول : سبحان الملك القدوس ، وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القباء ، والعرش فوق ذلك ، ثم وقف . انتهى^(٣) .

قال سفيان بن عيينة : كل ما وصف الله نفسه في كتابه فتفسيره قراءته ، والسكوت عليه ، ليس لأحد أن يفسره^(٤) إلا الله تعالى ورسوله .

* * *

(١) الكروبيون هم المقربون . النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٤٠) .

(٢) في المخطوط : رجل . والتصحيح من تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٧-٤٣٨) .

(٤) أي تفسير هيئة الصفة وكيفيةها ، بل نفوض الكيفية إلى علم الله عز وجل ، أما الصفة فإن مذهب السلف إثبات صفات الله عز وجل ، وإثبات معناها ، وتفويض الكيفية إلى علم الله عز وجل ؛ لأن الكلام في الصفات فرغ عن الكلام في الذات ، والله عز وجل المثل الأعلى .

وقوله : ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ، وقوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥] ، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] ، وقوله : ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿٧٢﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:] ، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] .

قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، وقبلها ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك ، ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ .

﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ من نعت الوجه ، فلذلك رفع ﴿ذُو﴾ . وقد ذكر أنها في قراءة عبدالله بالياء - ﴿ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ - على أنه من نعت الرب وصفته ، قال ابن عباس : ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو العظمة والكبرياء^(١) .

قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي : كل شيء هالك إلا هو ، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٧٢﴾ وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم ، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت ، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً^(٢) .

(١) تفسير الطبري (٢٢/٢١١-٢١٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٤٩٤) .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية بأنه ذو الجلال والإكرام .
 قوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى : قال الله لإبليس ، إذ لم يسجد لأدم وخالف أمره : ﴿بِإِبْلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ يقول : أي شيء منعك من السجود ﴿لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ يقول : لخلق يدي . يخبر تعالى ذكره بذلك ، أنه خلق آدم بيده ، ثم ساق بسنده عن ابن عمر : خلق الله أربعة بيده: العرش ، وعدن ، والقلم ، وآدم . ثم قال لكل شيء : كن فكان^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بِالْ يَدِ اللَّهِ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس : ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة ، ولكنهم يقولون إنه بخيل أمسك ما عنده ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .
 وقال الضحاك : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ يقولون : إنه بخيل ليس بجواد . قال الله : ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أمسكت أيديهم عن النفقة والخير ، ثم قال يعني نفسه : ﴿بِالْ يَدِ اللَّهِ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ، وقال : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ ، يقول لا تمسك يدك عن النفقة ، قال البغوي : ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه ، وقال جل ذكره : ﴿لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ ، وقال النبي ﷺ : «كلتا يديه يمين»^(٢) . والله أعلم بصفاته ، فعلى العباد فيها الإيمان

(١) تفسير الطبري (١٤٥/٢٠) .

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧) أوله : «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن

يمين الرحمن ...» .

والتسليم ، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمرؤها كما جاءت بلا كيف^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَأَصِرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَصِرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك ، وامض لأمره ونهيه وبلغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول جل ثناؤه : فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك ، ونحن نحوطك ونحفظك فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين .

قوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَجٍ وَّوُجٍ وَدُوسِرٍ ﴿٦٦﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ قال ابن كثير: أي: بأمرنا وبمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفْرًا﴾ أي : جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح عليه السلام^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلَوْ لَمْ نَكُنْ لَكَ مَنِي﴾ أي : بمرأى مني . قال قتادة : ﴿وَلَوْ لَمْ نَكُنْ لَكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ هو غذاؤه ، ولتغذ على عيني . قال ابن كثير: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي : عند عدوك جعلته يحبك . قال سلمة بن كهيل : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ قال : حببتك إلى عبادي . ﴿وَلَوْ لَمْ نَكُنْ لَكَ مَنِي﴾ قال أبو عمران الجوني : تُربى بعين الله . وقال قتادة : تغذى على عيني . وقال معمر بن المثنى : ﴿وَلَوْ لَمْ نَكُنْ لَكَ مَنِي﴾ بحيث أرى .

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : يعني أ جعله في بيت الملك ينعم ويترف ، وغذاؤه عندهم غذاء الملك ، فتلك الصنعة . انتهى^(٣) .

(١) تفسير البغوي (ص ٣٨٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٤٧٧) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٢٨٤) .

وقوله: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١] ، وقوله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١] ، وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠] ، ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] ، ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤] ، ﴿ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠] ، ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥] .

قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ عن عائشة رضي الله عنها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلةُ إلى النبي ﷺ تكلمه ، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ إلى آخر الآية . رواه أحمد وغيره^(١) .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ يا محمد ، ﴿ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ يقول وتشتكي المجادلةُ - ما لديها من الهم بظهار زوجها منها - إلى الله ، وتساله الفرج . ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ يعني : تحاور رسول الله ﷺ والمجادلة خولة بنت ثعلبة ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه ، وغير

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٤١٩٥) ، (٢٢٨/٤٠) ، وابن ماجه (١٨٨) ، والنسائي (٢٤٦٠) ، والحاكم (٤٨١/٢) وصححه ، وأقره الذهبي .

ذلك من كلام خلقه ، بصير بما يعملون ويعمل جميع عباده^(١) .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] عن ابن عباس قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة : ٢٤٥] قالت اليهود : يا محمد ، افتقر ربك فسأل عباده القرض ، فأنزل الله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ الآية .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ قال البغوي : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ ما يُسِرُّونه عن غيرهم ويتناجون بينهم ، ﴿ بَلَىٰ ﴾ نسمع ذلك ونعلم ، ﴿ وَرُسُلْنَا ﴾ أيضاً من الملائكة يعني الحفظة ﴿ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ قال ابن عباس : أسمع دعاء كما فأجيبه ، وأرى ما يراد بكما فأمنعه ، لست بغافل عنكما فلا تهتما . وقال ابن جرير : يقول الله تعالى ذكره : قال الله لموسى وهارون ﴿ لَا تَخَافَا ﴾ فرعون ، ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ أعينكما عليه ، وأبصركما ﴿ أَسْمَعُ ﴾ ما يجري بينكما وبينه ، فأفهمكما ما تحاورانه به ، ﴿ وَأَرَىٰ ﴾ ما تفعلان ويفعل ، لا يخفى علي من ذلك شيء^(٣) .

(١) تفسير الطبري (٢٢/٤٥٦) .

(٢) تفسير البغوي (ص ١١٧٣) .

(٣) تفسير الطبري (١٦/٧٧) .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمداً عن عبادة ربه والصلاة له ، بأن الله يراه ، فيخاف سطوته وعقابه^(١) .

وقال ابن كثير : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ أي : أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازهه على فعله أتمّ الجزاء^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْبُكُ فِي السُّجُودِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء] قال ابن جرير : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ إلى صلاتك ، ويرى ﴿ تَقْبُكُ ﴾ في المؤمن بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ تلاوتك يا محمد ، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر ، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك ، مؤتمماً بك ، يقول : فرثل فيها القرآن ، وأقم حدودها فإنك بمراى من ربك ومسمع^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ : ﴿ وَقُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك ، ﴿ أَعْمَلُوا ﴾ بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه ، ﴿ فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ يقول : فسيري الله إن عملتم عملكم ، ويراه رسوله ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَسَرْدُونَ ﴾ يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلايتكم ، فلا يخفى عليه شيء من باطن

(١) تفسير الطبري (٥٣٥-٥٣٦/٢٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٨/٨) .

(٣) تفسير الطبري (٦٧٠/١٧) .

.....

أموركم وظواهرها ﴿فِيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون ، وما منه خالصاً وما منه رياءً ، وما منه طاعةً وما منه معصيةً ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته^(١) .

* * *

(١) تفسير الطبري (١١/٦٦٧-٦٦٨) .

وقوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣] ، وقوله : ﴿ وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ، وقوله : ﴿ وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿٥٥﴾ وَآكِدُ كَيْدًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الطارق: ١٥-١٦] ، وقوله : ﴿ إِنْ يُبَدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفَّوهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩] ، ﴿ وَلِيَعَفَّوْا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ قال ابن كثير : وقوله : ﴿ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ ﴾ أي : يشكّون في عظمته ، وأنه لا إله إلا هو ، ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ ^(١) .

قال ابن جرير : شديدة ماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتا ، وتمادى في كفره ^(٢) .

وهذه الآية شبيهة بقوله : ﴿ وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ [النمل: ٥٠-٥١] .

وعن علي رضي الله عنه : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ أي : شديد الأخذ ^(٣) .

وقال مجاهد : شديد القوة ^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ قال ابن

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٤٥) .

(٢) تفسير الطبري (١٣/٤٨٢) .

(٣) المرجع السابق (١٣/٤٨٣-٤٨٤) .

(٤) المرجع السابق (١٣/٤٨٣-٤٨٤) .

جرير: يعني بذلك جل ثناؤه : ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل ؛ وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحس منهم الكفر .

وكان مكرهم الذي وصفهم الله به مواطاة بعضهم بعضاً على الفتك بعيسى وقتله .

قال : وأما مكر الله بهم فإنه - فيما ذكر السدي - : إلقاءه شبهة عيسى على بعض أتباعه ، حتى قتله الماكرون بعيسى ، وهم يحسبونه عيسى ، وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك ... إلى أن قال : وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه إياهم ، ليبلغ الكتاب أجله ^(١) .

وقال البغوي : المكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة ، والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم ، كما قال : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح ؛ بمصيرهم إليه ليلاً ليقتلوه وأهله ، وصالح لا يشعر بذلك ، ﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾ يقول : فأخذناهم بعقوبتنا إياهم ، وتعجيل العذاب لهم ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا .

وقد بينا فيما مضى معنى مكر الله بمن مكر به ، وما وجه ذلك ، وأنه أخذهُ من أخذهُ منهم على غرة ، أو استدراجه من استدراجٍ منهم على كفره

(١) تفسير الطبري (٥/٤٤٦-٤٤٧) .

(٢) تفسير البغوي (ص ٢١٠) .

به ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة على غيرة وغفلة^(١) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿ الطارق : ١٥-١٦ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المكذبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يكررون مكرًا ، وقوله : ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ يقول وأمكر مكرًا ، ومكره جلّ ثناؤه بهم إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به^(٢) .

وقال البغوي : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ يخاتلون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه ، ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ وكيد الله استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ إِنْ يُبَدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٩] قال ابن جرير : يعني بذلك جلّ ثناؤه ﴿ إِنْ يُبَدُوا ﴾ أيها الناس ﴿ خَيْرًا ﴾ يقول : إن تقولوا جميلًا من القول لمن أحسن إليكم ، فتظهروا ذلك شكرًا منكم له على ما كان منه من حسن إليكم ، ﴿ أَوْ تُخْفَوُ ﴾ يقول : أو تركوا إظهار ذلك فلا تبدوه ، ﴿ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ ﴾ يقول : أو تصفحوا لمن أساء إليكم عن إساءته ، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي قد أذنت لكم أن تجهروا له به ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا ﴾ يقول : لم يزل ذا عفو عن خلقه ، يصفح لهم عن عصاه ، وخالف أمره ، ﴿ قَدِيرًا ﴾ يقول : ذا قدرة على الانتقام منهم ، وإنما يعني بذلك : أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إياه ، يقول : فاعفوا أتمم أيضاً أيها الناس عن من أتى إليكم ظلماً ، ولا

(١) تفسير الطبري (١٨/٩٢-٩٣) .

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٣٠٧) .

(٣) تفسير البغوي (ص ١٤٠٠) .

تجهروا له بالسوء من القول إلا من ظلم^(١) .

وقال ابن كثير : وقوله : ﴿إِنْ يُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي : إن تُظهروا أيها الناس خيراً أو أخفيتموه ، أو عفوتم عنّ أساء إليكم ، فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه ، فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم ، ولهذا قال : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ولهذا وردَ في الأثر : أن حملة العرش يُسبّحون الله ، فيقول بعضهم : سبحانك على حلمك بعد علمك ، ويقول بعضهم : سبحانك على عفوك بعد مقدرتك^(٢) . وفي الحديث الصحيح : «ما نقص مالٌ من صدقةٍ ، ولا زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه»^{(٣)(٤)} .

قوله تعالى : ﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] وأول الآية ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي : لا يحلف ، ﴿أُولُوا الْأَفْضَلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا﴾ .

قال ابن جرير : يقول : ﴿وَلِيَعْفُوا﴾ عمّا كان منهم إليهم من جرم ،

(١) تفسير الطبري (٧/ ٦٣٢-٦٣٣) .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٣١٥) ، والبيهقي في الشعب (٣٦٤) ، وأبو الشيخ في العظمة (٤٨١) ، وابن أبي شيبة في العرش (٢٤) ، وأبونعيم في الحلية (٣/ ٥٥٣) . (٧٤/٦) .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥) .

وذلك كجرمٍ مسطحٍ إلى أبي بكر ، في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك ، ﴿وَلَيَصْفَحُوا﴾ يقول : وليتركوا عقوبته على ذلك بجرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم ، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يقول : ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم ، بإفضالكم عليهم ، فيترك عقوبتكم عليها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب من أطاعه ، واتبع أمره ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم إياه على ما كانت لهم من زلة وهفوة ، قد استغفروه منها ، وتابوا إليه من فعلها^(١) .

* * *

(١) تفسير الطبري (١٧/٢٢٣-٢٢٤) .

وقوله : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ، وقوله عن إبليس : ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ، وقوله : ﴿نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] ، وقوله : ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المنافقون الذي وصف صفتهم قبل : ﴿لِيَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الأَعْرُضُ مِنْهَا الأَذَلُّ﴾ فيها ، ويعني بالأعز الأشد والأقوى ، قال الله جل ثناؤه : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ يعني : الشدة والقوة ، ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك^(١) .

قال البغوي : فعزة الله قهره من دونه ، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها ، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم^(٢) .

قوله : ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : قال إبليس : ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ أي : بقدرتك وسلطانك وقهرك من دونك من خلقك ، ﴿لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول : لأضلن بني آدم أجمعين ، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾ يقول : إلا من أخلصته منهم لعبادتك ، وعصمته من إضلاله ، فلم تجعل لي عليه سبيلاً ، فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه .

(١) تفسير الطبري (٢٢/٦٦١) .

(٢) تفسير البغوي (ص١٣١٨) .

وذكر بسنده عن قتادة قال : عَلِمَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ عِزَّةٌ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ نَبِّزَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : تبارك ذكرُ ربك يا محمد ، ﴿ ذِي الْجَلَالِ ﴾ يعني : ذي العظمة ، ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴾ يعني : ومن له الإكرام من جميع خلقه .

وذكر بسنده عن ابن عباس : قوله : ﴿ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ يقول ذو العظمة والكبرياء^(٢) .

وقال ابن كثير : أي : هو أهلٌ أن يُجَلَّ فلا يُعَصَى ، وأن يُكْرَم فيُعبد ، ويُشكَّر فلا يُكْفَر ، وأن يُذكَر فلا يُنسى .

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «الظُّوْبِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٣) .

وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً وقال : «اللهم أنت السلام ، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»^{(٤)(٥)} .

قوله تعالى : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ قال ابن جرير : وقوله ﴿ فَأَعْبُدْهُ ﴾ يقول : فالزم طاعته ، وذل لأمره ونهيه ، ﴿ وَاصْطَبِرْ

(١) تفسير الطبري (١٤٧/٢٠-١٤٨) .

(٢) تفسير الطبري (٢٢/٢٧٨) .

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٥٢٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٦/٤٤٥) ، وصححه الألباني .

(٤) رواه مسلم برقم (٥٩٢) .

(٥) تفسير ابن كثير (٧/٥١٠-٥١١) .

لِعِبَادَتِهِ ۞ . يقول : واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته ،
تفزز برضاه عنك ، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده
وكرمه وفضله ، ۞ هَلْ تَعَلَّمْ لَهُ سَمِيًّا ۞ . يقول : هل تعلم يا محمد لربك هذا
الذي أمرناك بعبادته ، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده ، فتعبده
رجاء فضله وطوله دونه ؟ كلا ، ما ذلك بموجود .

وذكر بسنده عن ابن عباس في قوله : ۞ هَلْ تَعَلَّمْ لَهُ سَمِيًّا ۞ قال : شبيهاً^(١) .
قوله تعالى : ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۞ قال أبو العالية : لم يكن له
شبيهة ولا عدل وليس كمثل شيء .

قوله تعالى : ۞ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ قال ابن جرير :
الأنداد جمع ند ، والند : العدل والمثل .

وذكر بسنده عن ابن عباس في قوله : ۞ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ۞ قال :
أشباهاً .

وعن قتادة في قوله : ۞ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ أي : تعلمون أن الله خلقكم
وخلق السماوات والأرض ، ثم يجعلون له أنداداً^(٢) .

وقال البغوي : ۞ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ۞ أي : أمثلاً تعبدونهم كعبادة
الله^(٣) .

(١) انظر : تفسير الطبري (٥٨٥/١٥) .

(٢) تفسير الطبري (٣٩٢-٣٩٣) .

(٣) تفسير البغوي (ص ٢١) .

قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ قال ابن كثير : يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً ، أي : أمثالاً ونظراء ، يعبدونهم معه ، ويحبونهم كحبه ، وهو الله لا إله إلا هو ، ولا ضد له ولا ند له ، ولا شريك له ^(١) .

* * *

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٨٠) .

وقوله : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ١١١] ، ﴿ يَسْتَجِبُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن : ١] ، وقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ١-٢] ، وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبَّاهُمْ عَلَى بَعْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١-٩٢] ، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٤] ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأَيْمَانَ وَابْغَى بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : ﴿ وَقُلِ ﴾ يا محمد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ فيكون مربوباً لا رباً ؛ لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد ، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ ﴾ فيكون عاجزاً ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفاً ، ولا يكون إلهاً من يكون محتاجاً إلى معين على ما حاول ، ولم يكن منفرداً بالملك والسلطان ، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ يقول : ولم يكن له حليفٌ حالفه من الذل الذي به ؛ لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره ، فذليل مهين ، ولا يكون من كان

ذليلاً مهيناً يحتاج إلى ناصر لها يطاع ، ﴿وَكِبْرَةٌ تَكْبِيرًا﴾ يقول : وعظّم ربك يا حمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل ، وأطعه فيما أمرك ونهاك^(١) .

وقال ابن كثير : لمّا أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنی ، نزه نفسه عن النقائص فقال : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ لِدَاؤِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا شَرِيكًا فِي الْمُلْكِ﴾ بل هو الله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهَا وِليٌّ مِنَ الدَّلِّ﴾ أي : ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير ، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له .

قال مجاهد في قوله : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهَا وِليٌّ مِنَ الدَّلِّ﴾ لم يحالف أحداً ، ولم يتبع نصرة أحد .

﴿وَكِبْرَةٌ تَكْبِيرًا﴾ أي : عظّمه وأجلّه عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً .

قال ابن جرير : حدثني يونس : أنبأنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ لِدَاؤِهَا﴾ الآية قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً . وقالت العرب : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، وقال الصابثون والمجوس : لولا أولياء الله لذل ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ لِدَاؤِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا شَرِيكًا فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا وِليٌّ مِنَ الدَّلِّ وَكِبْرَةٌ تَكْبِيرًا﴾^(٢) .

(١) تفسير الطبري (١٣٧/١٥-١٣٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٣٠/٥) .

قوله تعالى : ﴿يَسْبِغُ لَكَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَكَ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : يسجد له ما في السموات السبع ، وما في الأرض من خلقه ، ويعظمه .

وقوله ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ : يقول تعالى ذكره : له ملك السموات والأرض ، وسلطانه ماضٍ قضاؤه في ذلك كله ، نافذ فيه أمره .

وقوله : ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ يقول : وله حمدٌ كل ما فيها من خلق ؛ لأن جميع مَنْ في ذلك من الخلق لا يعرفون الخيرَ إلا منه ، وليس لهم رازقٌ سواه ، فله حمدٌ جميعهم .

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول : وهو على كل شيء ذو قدرة ، يقول : يخلق ما يشاء ، ويميت من يشاء ، ويغني من أراد ، ويفقر من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ولا يتعذر عليه شيءٌ أراده ؛ لأنه ذو القدرة التامة التي لا يُعجزه معها شيءٌ^(١) .

قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : ﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة ، وهو كقول القائل : تقدس ربنا . فقوله : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ يقول : تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل فصلاً بعد فصل ، وسورة بعد سورة .

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ : محمد ﷺ ؛ ليكون محمداً لجميع الجن والإنس الذين بعثه الله إليهم داعياً إليه .

(١) تفسير الطبري (٥/٢٣) .

﴿ نَذِيرًا ﴾ يعني منذراً ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه ، إن لم يوحده ، ولم يخلصوا له العبادة ، ويخلصوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان .

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكًا فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرُهُ نَقْدِيرًا ﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ، ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الذي له سلطان السموات والأرض يُنفذ في جميعها أمره وقضاءه ، ويُمضي في كلها أحكامه ، يقول : فحقّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ، ومن في سلطانه ، ولا يعصوه . يقول : فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس واتبعوه ، واعملوا بما جاءكم به من الحق .

﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ يقول تكذيباً لمن أضاف إليه الولد ، وقال : الملائكة بنات الله : ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولداً ، فمن أضاف إليه ولداً فقد كذب وافترى على ربه .

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكًا فِي الْمُلْكِ ﴾ يقول تكذيباً لمن يُضيف الألوهية إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب - ويقول في تليته : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك - : كذب قائلوا هذا القول ، ما كان لله من شريكٍ في ملكه وسلطانه فيصلح أن يُعبد من دونه ، يقول تعالى ذكره : فأفردوا أيها الناس لربكم - الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه ﷺ - الألوهية ، وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس ؛ فإن كل ذلك خلقه وفي ملكه ، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك .

وقوله : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره : وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شيء ، فالأشياء كلها خلقه وملكه ، وعلى الممالك طاعة مالِكهم وخدمة سيدهم دون غيره ، يقول : وأنا خالقكم ومالككم ، فأخلصوا لي العبادة دون غيري .

وقوله : ﴿فَقَدَرَهُ لِقَدِيرًا﴾ يقول : فسوى كل ما خلق ، وهياً لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت^(١) .

قوله تعالى : ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ عَنِ اللَّهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٧﴾ يقول تعالى : ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي : لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق ﴿وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي : لغلب بعضهم بعضاً كالعادة بين الملوك ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من الولد والشريك ، ﴿عَنِ اللَّهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي : ما غاب عن خلقه وما رآه .

﴿فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : فارفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ، ووصفهم إياه بما يصفون^(٢) .

قوله تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال ابن جرير : يقول : فلا تمثلوا لله الأمثال ، ولا تشبهوا له الأشباه ؛ فإنه لا مثل له ولا شبه ، فإنه أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

(١) تفسير الطبري (١٧/٣٩٤-٣٩٦) .

(٢) تفسير الطبري (١٧/١٠٣) .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول : والله أيها الناس يعلم خطأ ما
يمثلون ويضربون من الأمثال ، وصوابه ، وغير ذلك من سائر الأشياء ،
﴿وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُونَ﴾ صواب ذلك من خطئه^(١) .

قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ ما تزايد قبحه من الكبائر ،
﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ جهرها وسرها . ﴿وَالْآثِمَ﴾ كل ذنب . ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ
الْحَقِّ﴾ أي : الظلم . ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلَّ بِهِ سُلْطَانًا﴾ برهاناً ، ﴿وَأَنْ
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ بالافتراء عليه ، والكذب من دعوى أن له ولداً ،
ونحو ذلك مما لا علم لكم به .

* * *

(١) تفسير الطبري (١٤/٣٠٥-٣٠٦) .

وقوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] في سبعة مواضع : في سورة الأعراف قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٥٤] ، وقال في سورة يونس : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [آية : ٣] ، وقال في سورة الرعد : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٢] ، وقال في سورة طه : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [٥] ، وقال في سورة الفرقان ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [٥٩] ، وقال في سورة أم السجدة : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٤] ، وقال في سورة الحديد ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٤] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : إن سيدكم ومصالح أموركم أيها الناس ، هو المعبود الذي له العبادة من كل شيء .

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ، وذلك يوم الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة^(١) .

وقال ابن كثير : أما قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا

(١) تفسير الطبري (١٠/٢٤٥) .

تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري قال : من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر .

وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى . انتهى ^(١) .

وقال البغوي : ﴿ تَمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ : قال الكلبي ومقاتل : استقر ، وقال أبو عبيدة : صعد ، وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ، فأما أهل السنة فيقولون : الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل ^(٢) .

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرخصاء ^(٣) ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أظنك إلا ضالاً ، فأمر به فأخرج .

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٢٦-٤٢٧) .

(٢) أي يكلون العلم بكيفية ذلك ، أمّا العلم بمعنى الصفة نفسها فكما قال مالك رحمه الله : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول .

(٣) الرخصاء : عرق الجبين .

وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة
وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في
الصفات المتشابهات : أمرها كما جاءت بلا كيف . انتهى^(١) .

وقال في « جامع البيان » : أجمع السلف على أن استواءه على العرش
صفة له بلا كيف ، تؤمن به ، ونكل العلم إلى الله تعالى^(٢) .

قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ
رَبَّكُمْ اللَّهُ ﴾ الذي له عبادة كل شيء ، لا تنبغي العبادة إلا له ، هو الذي
خلق السماوات السبع ، والأرضين السبع في ستة أيام ، وانفرد بخلقها بغير
شريك ولا ظهير ، ثم استوى على عرشه مُدْبِرًا لِلْأُمُورِ ، وقاضياً في خلقه ما
أحب ، لا يضأده في قضائه أحد ، ولا يتعقب تدييره متعقب ، ولا يدخل
أموره خلل^(٣) .

وقال ابن كثير : يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه ، وأنه خلق السماوات
والأرض في ستة أيام ، قيل : كهذه الأيام ، وقيل : كل يوم كالف سنة مما
تعدّون . ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها^(٤) .

(١) تفسير البغوي (ص ٤٦٦) .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن لمعين الدين الإيجي الشافعي (١/٦٢١) ، دار الكتب
العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .

(٣) تفسير الطبري (١٢/١١٣-١١٤) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٤٦-٢٤٧) .

قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١)
قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : الله - يا محمد - الذي رفع السماوات
السبع بغير عمَدٍ ترونها ، فجعلها للأرض سقفاً مسموكاً ... إلى أن قال :
وأما قوله : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فإنه يعني : علاً عليه^(١) .

وقال ابن كثير : يخبر تعالى عن كمال قدرته ، وعظيم سلطانه : أنه الذي
بإذنه وأمره رفع السماوات بغير عمد ، بل بإذنه وأمره وتسخيره ، رفعها عن
الأرض بُعداً لا تنال ، ولا يدرك مداها ، فالسمااء الدنيا محيطةٌ بجميع الأرض
وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها ، مرتفعةٌ
عليها من كل جانب على السواء ، وبُعدٌ ما بينها وبين الأرض من كل ناحية
مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام ، ثم السماء
الثانية محيطة بالسمااء الدنيا وما حوت ، وبينهم من بعد المسير خمسمائة عام ،
وسُمكها خمسمائة عام ، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة
كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ
بَيْنَهُنَّ﴾ الآية ، وفي الحديث : « ما السماوات السبع وما فيهن في الكرسي إلا
كحلقة ملقاة بأرض فلاة »^(٢) والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك

(١) تفسير الطبري (١٣/٤٠٨ ، ٤١١) .

(٢) رواه ابن حبان (٣٦١) ، وأبو نعيم (١/١٦٦) ، وابن عساكر (٢٣/٢٧٤ ، ٢٧٧) ،
والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٣) ، وأبو الشيخ في كتاب العظمة رقم
(٢٢٠ ، ٢٥٢) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/٤١١) : صححه ابن حبان .

الفلاة ، وفي رواية : « والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل »^(١) .
 وجاء عن بعض السلف أن بُعد ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة ، وبُعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وهو من ياقوتة حمراء^(٢) .
 وقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ تقدم تفسيره في سورة الأعراف ، وأنه يُمرُّ كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل .
 قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : الرحمن على عرشه ارتفع وعلا^(٣) .

وقال ابن كثير : وقوله : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ : تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف ، بما أغنى عن إعادته أيضاً ، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف : إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ، ولا تحريف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل^(٤) .

قوله : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ﴾ قيل : كان ابتداء ذلك يوم الأحد ، والفراغ يوم الجمعة ، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ وعلا عليه ، وذلك يوم السبت فيما قيل .

(١) رواه الحاكم (٢٨٢/٢) موقوفاً . والخطيب في تاريخه (٢٥١/٩) مرفوعاً .
 والصحيح أنه موقوف . انظر العلل المتناهية (٢٢/١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤٢٨-٤٢٩) .

(٣) تفسير الطبري (١١/١٦) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢٧٣/٥) .

وقوله : ﴿ فَسْتَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴾ يقول : فاسأل يا محمد بالرحمن خيراً بخلقه ، فإنه خالق كل شيء ، ولا يخفى عليه ما خلقه ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من خلق ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ﴾ على عرشه في اليوم السابع ، بعد خلق السماوات والأرض وما بينهما ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : هو الذي أنشأ السماوات السبع والأرضين ، فدبرهنّ وما فيهنّ ، ثم استوى على عرشه ، فارتفع عليه وعلا ^(٣) .

* * *

(١) انظر : تفسير الطبري (١٧/٤٨٠-٤٨١) .

(٢) تفسير الطبري (١٨/٥٩١) .

(٣) المرجع السابق (٢٢/٣٨٧) .

وقوله : ﴿ يَعْيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] ، ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨] ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠] ، ﴿ يَهَيِّئْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ قُرْآنًا مَرَجًا لَعَلَّيْ أَنْتَ لِعَلِّمُ الْآسَافِ ﴿٦٦﴾ أَشَدَّ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴾ [خافر: ٣٦-٣٧] ، ﴿ أَمْ آمَنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿٦٧﴾ أَمْ آمَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴾ [الملك: ١٦-١٧] .

قوله تعالى : ﴿ يَعْيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ قال ابن جرير : يعني بذلك جلّ ثناؤه ، ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم عيسى فيما اتاهم به من عند ربهم ، إذا قال الله جل ثناؤه : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ (إذ) صلة من قوله ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ يعني : ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ فتوفاه ورفعاه إليه ^(١) .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى : ﴿ وَمَطَّهَّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي : رفعي إياك إلى السماء ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ قال ابن جرير : يعني بل رفع الله المسيح إليه ، يقول : لم يقتلوه ولم يصلبوه ، ولكن الله رفعه إليه ، فطهره من الذين كفروا ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ قال ابن

(١) تفسير الطبري (٥/٤٤٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٧) .

(٣) تفسير الطبري (٧/٦٦٢) .

جرير : يقول تعالى ذكره إلى الله يصعد ذكر العبد إياه ، وثناؤه عليه ، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقول : ويرفع ذكر العبد ربه إليه العمل الصالح ، وهو العمل بطاعته ، وأداء فرائضه ، والانتهاى إلى ما أمره به . ثم ذكر بسنده عن عبدالله قال : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ، إن العبد المسلم إذا قال : سبحان الله وبحمده ، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله ، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحين ، ثم صعد بهن إلى السماء ، فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ، ثم قرأ عبدالله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به ، وزجره عن قتل موسى نبي الله ، وحذره من بأس الله على قبيله (اقتله) ما حذره لوزيره هامان وزير السوء : ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا﴾ يعني بناءً .

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ : لعلني أبلغ من أسباب السموات أسباباً أتسببُ بها إلى رؤية إله موسى .

وقوله : ﴿وَأِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ يقول : وإنني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدّعي من أن له في السماء رباً أرسله إلينا^(٢) .

(١) تفسير الطبري (٣٣٨/١٩) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٣٢٤-٣٢٦) .

قوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿٥٣﴾ أمّ
 أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿٥٤﴾ قال
 ابن جرير: يقول تعالى ذكره ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ أيها [الناس] الكافرون
 ﴿أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يقول: فإذا الأرض تذهب بكم وتجيء
 وتضطرب، ﴿أمّ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ وهو الله ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾
 وهو التراب فيه الحصباء الصغار، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ يقول: فستعلمون
 أيها الكفرة كيف عاقبة نذيري لكم، إذ كذبتهم به، ورددتموه على رسولي^(١).
 وقال البغوي: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس: أي عذاب من في
 السماء إن عصيتموه^(٢).

* * *

(١) تفسير الطبري (١٢٩/٢٣-١٣٠).

(٢) تفسير البغوي (ص ١٣٣٣).

وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤] ، وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧] ، ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] ، ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] ، ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، ﴿ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قال ابن جرير : وقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن صفته وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ ﴾ من خلقه ، يعني بقوله : ﴿ يَلِيحُ ﴾ يدخل ، ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ منهم ، ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ إلى الأرض من شيء قط ، ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ فيصعد إليها من الأرض ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ يقول : وهو شاهدكم أيها الناس ، أينما كنتم يعلمكم ، ويعلم أعمالكم ومثالبكم ومثواكم ، وهو على عرشه فوق سماواته السبع ، ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ يقول : والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ ، وطاعة ومعصية ، ذو بصر ، وهو لها محصٍ ليجازي المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء

بإساءته يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون^(١) .

قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَقٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وأول الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية ، قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فترى أن الله يعلم ما في السماوات والأرض من شيء ، لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره . يقول جل ثناؤه : فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم .

ثم وصف - جل ثناؤه - قربه من عباده وسماعه نجواهم ، وما يكتُمونه الناس من أحاديثهم ، فيتحدثون سرا بينهم ، فقال : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ من خلقه ﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ يعلم سرهم ونجواهم ، لا يخفى عليه شيء من أسرارهم ، ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ يقول : ولا يكون من نجوى خمسة ، إلا هو سادسهم كذلك ، ﴿ وَلَا آدَقٍ مِنْ ذَلِكَ ﴾ يقول : ولا أقل من ثلاثة ، ﴿ وَلَا أَكْثَرَ ﴾ من خمسة ، ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ إذا تناجوا ، ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ يقول : في أي موضع ومكان كانوا .

وعنى بقوله : ﴿ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ يعني : أنه مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه . ثم ساق بسنده عن الضحاك في قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ إلى

(١) تفسير الطبري (٢٢/٣٨٧) .

قوله : ﴿ هُوَ مَعَهُمْ ﴾ قال : هو فوق العرش وعلمه معهم ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(١) .

وقال ابن كثير : حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ، ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه ، لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، قال الإمام أحمد : افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ قال ابن جرير : يقول إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر : ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ ، وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما ، فجزع من ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : « لا تحزن إن الله معنا ، والله ناصرنا ، فلن يعلم المشركون بنا ، ولن يصلوا إلينا »^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ قد تقدمت هذه الآية في الآيات التي فيها إثبات السمع والبصر ، والمراد بها هنا إثبات المعية الخاصة .

قال ابن كثير : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ أي : لا تخافا من فرعون ، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه ، وأرى مكانكما ومكانه ، لا يخفى عليّ من أمركم شيء ، واعلما أن ناصيته بيدي ؛ فلا يتكلم ولا يتنفس

(١) المرجع السابق (٢٢/٤٦٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٤٢) .

(٣) تفسير الطبري (١١/٤٦٤) ، والحديث أصله في البخاري رقم (٣٦١٥) ، ومسلم

رقم (٢٠٠٩) .

ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأيدي^(١) .
 قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ قال ابن جرير :
 يقول تعالى ذكره : ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يا محمد ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله في محارمه
 فاجتنبوها وخافوا عقابه عليها ، فأحجموا عن التقدم عليها ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ
 مُحْسِنُونَ﴾ يقول : وهو مع الذين يُحسنون رعاية فرائضه ، والقيام بحقوقه
 ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه^(٢) .

وقال ابن كثير : وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾
 أي : معهم بتأييده ونصره ومعونته ، وهذه معية خاصة ، كقوله : ﴿إِذْ يُوحَى
 رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَبَوُّوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال : ١٢] ، وقوله لموسى
 وهارون : ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه : ٤٦] ، وقول النبي ﷺ
 للصدیق وهما في الغار : ﴿لَا تَخْرَنَ إِيَّاكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] . وأما
 المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم ، كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا
 كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد : ٤] ، وكقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا
 هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة : ٧] ،
 وكما قال تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ
 إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ الآية [يونس : ٦١] .

(١) تفسير ابن كثير (٢٩٦/٥) .

(٢) تفسير الطبري (٤٠٩/١٤) .

ومعنى ﴿ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ أي : تركوا المحرمات ، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ أي : فعلوا الطاعات ، فهؤلاء يحفظهم ويكلؤهم ، وينصرهم ويؤيدهم ، ويُظفروهم على أعدائهم ومخالفهم^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ قال ابن جرير : ﴿ وَأَصْبِرُوا ﴾ يقول : اصبروا مع نبي الله ﷺ عند لقاء عدوكم ، ولا تنهزموا عنه وتتركوه ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ يقول : اصبروا فإني معكم^(٢) .

وأورد البغوي في تفسير هذه الآية حديث : « لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » الحديث^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ قال ابن جرير على قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَبْطِئُونَ أَنفُسَهُمْ مَلَفُوا اللَّهَ كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾ الآية : تأويل الكلام : قال الذين يوقنون بالمعاد ويصدقون بالمرجع إلى الله للذين قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده : ﴿ كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾ يعني بـ ﴿ كَمْ ﴾ كثيراً غلبت فتنه قليلة فتنه كثيرة ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ يعني بقضاء الله وقدره ، ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ يقول : مع الحابسين أنفسهم على رضاه وطاعته ، يعني والله معين الصابرين على الجهاد في سبيله ، وغير ذلك من طاعته ، وظهورهم ونصرهم على

(١) تفسير ابن كثير (٤/٦١٥) .

(٢) تفسير الطبري (١١/٢١٤-٢١٥) .

(٣) انظر : تفسير البغوي (ص/٥٣٠) ، والحديث رواه البخاري برقم (٢٨١٨) ،

و(٢٨٣٣) ، ومسلم برقم (١٧٤٢) .

أعدائه الصادين عن سبيله المخالفين منهاج دينه ، وكذلك يقال لمعين رجل
على غيره : هو معه . بمعنى : هو معه بالعون والنصرة^(١) .

* * *

(١) انظر : تفسير الطبري (٤/٤٩٦-٤٩٧) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] ، ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي مَرِيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٠] ، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] ، وقوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] ، ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، ﴿ وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَيْنَاهُ نَجْمًا ﴾ [مريم: ٥٢] ، وقوله : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠] ، ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢] ، وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥] .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ، وأول الآية ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ، قال ابن جرير : يعني بذلك فاعلموا حقيقة ما أخبرتكم من الخبر ، فإنني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب ، والثواب والعقاب يقيناً ، فلا تشكروا في صحته ، ولا تمتروا في حقيقته ، فإن قولي الصدق الذي لا كذب فيه ، ووعدني الصدق الذي لا خُلف فيه . ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ، يقول : وأي ناطقٍ أصدق من الله حديثاً ، وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعاً ، أو يدفع به عنها ضرراً ، والله تعالى ذكره خالق الضر والنفع ، فغير جائز أن يكون منه كذب ؛ لأنه لا يدعو إلى اجتلاب نفع ، ولا دفع ضرر عن نفسه ، أو دفع ضرر عنها سواء تعالى ذكره ، فيجوز أن يكون له في استحالة الكذب منه نظير ، ومن أصدق من الله حديثاً وخبراً^(١) .

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٩-٢٨٠) .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ أي : لا أحد أصدق منه في حديث وخبره ، ووعده ووعيده ، فلا إله إلا هو ، ولا رب سواه^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ، قال ابن جرير : يقول : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ ﴾ أيها الناس ، ﴿ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ أي لا أحد أصدق منه قيلًا ، فكيف تتركون العمل بما وعدكم على العمل به ربكم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، وتكفرون به ، وتخالفون أمره ، وأنتم تعلمون أنه لا أحد أصدق منه قيلًا ، وتعملون بما يأمركم به الشيطان رجاء لإدراك ما يعدكم من عاداته الكاذبة وأمانيه الباطلة، وقد علمتهم أن عاداته غرور لا صحة لها ، ولا حقيقة ، وتتخذونه ولياً من دون الله ، وتتركون أن تطيعوا الله فيما يأمركم به وينهاكم عنه ، فتكونوا له أولياء ، ومعنى القيل والقول واحد^(٢) .

وقال ابن كثير : « ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ أي : لا أحد أصدق منه قولاً أي خبراً ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، وكان النبي ﷺ يقول في خطبته : « إن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار »^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ سِىَ ابْنِ مَرْيَمَ ... ﴾ قال ابن جرير : يقول

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧١) .

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٠٦-٥٠٧) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٧) . والحديث رواه مسلم برقم (٨٦٧) باختلاف في بعض

ألفاظه، وهو في مسند أحمد برقم (١٤٤٥٥) .

تعالى ذكره : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ فيقول : ﴿ مَاذَا أُجِيتُمْ ﴾ إذ قال الله :
﴿ يَنْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۗ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ وقيل :
إن الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه إليه في الدنيا .

وساق بسنده عن السدي قال : لما رفع الله عيسى ابن مريم إليه ، قالت
النصارى ما قالت ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، فسأله عن قوله فقال :
﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا
فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

وعن ابن جريج ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَنْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۗ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ
إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ قال : والناس يسمعون ، فراجعه بما قد رأيت ، وأقر له
بالعبودية على^(١) نفسه ، فعلم من كان يقول في عيسى ما يقول أنه إنما كان
باطلاً^(٢) .

وقال ابن كثير على قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَنْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۗ أَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ
لِي بِحَقِّ ... ﴾ الآيات : هذا أيضاً مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم
عليه السلام ، قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله
﴿ يَنْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۗ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ ، وهذا

(١) في المخطوط : (عن) والتصويب من تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري (٩/١٣٣-١٣٤) .

تهديدًا للنصارى وتوبيخًا وتقريع على رؤوس الأشهاد . هكذا قاله قتادة وغيره^(١) .
 قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى
 ذكره : وكملت كلمة ربك ، يعني القرآن ، سماه كلمة كما تقول العرب
 للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر : هذه كلمة فلان .

[﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ يقول : كملت كلمة ربك من الصدق والعدل ،
 والصدق والعدل نُصبا على التفسير للكلمة^(٢)] كما يقال عندي عشرون
 درهماً .

﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ يقول : لا مغير لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه
 في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه :
 ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ
 قَبْلُ ﴾^(٣) .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ قال
 قتادة: صدقاً فيما قال ، وعدلاً فيما حكم ، يقول : صدقاً في الإخبار ،
 وعدلاً في الطلب ، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك ، وكل ما أمر
 به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل ، فإنه لا ينهى
 إلا عن مفسدة .

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٣٢) .

(٢) ما بين المعرفين ليس في المخطوط ، وأكملته من تفسير الطبري ليستقيم المعنى .

(٣) تفسير الطبري (٩/٥٠٧-٥٠٨) .

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتَيْهِ﴾ أي : ليس أحد يعقب حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة^(١) .

وقال البغوي : قوله عز وجل : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿كَلِمَتُ﴾ على التوحيد ، وقرأ آخرون : ﴿كلماتُ﴾ بالجمع ، والمراد بالكلمات أمره ونهيه ، ووعدته ووعيده . ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي : صدقاً في الوعد والوعد ، وعدلاً في الأمر والنهي ، قال قتادة ومقاتل : صدقاً فيما وعد ، وعدلاً فيما حكم ، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتَيْهِ﴾ قال ابن عباس : لا راداً لقضائه ، ولا معيّر لحكمه ، ولا خلف لوعده ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قيل : أراد بالكلمات القرآن ﴿لَا مُبَدِّلَ﴾ له ، يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون . انتهى^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ : قال ابن جرير : يعني بذلك جل ثناؤه : وخاطب الله بكلامه موسى خطاباً .

وساق بسنده عن نوح بن أبي مريم ، وسئل : كيف كلم الله موسى تكليماً ؟ قال : مشافهة^(٣) .

وقال ابن كثير : قوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وهذا تشریف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ، ولهذا يقال له الكليم^(٤) .

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٢٢) .

(٢) تفسير البغوي (ص ٤٣٩) .

(٣) تفسير الطبري (٧/٦٨٩) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٤٧٤-٤٧٥) .

وقال صاحب «الوجيز» : أخبر الله بأنه شرف موسى بكلامه وأكده بالمصدر دلالةً على وقوع الفعل على حقيقته لا على المجاز^(١) .

قوله تعالى : ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ قال ابن جرير: يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ﴾ الذين قصَّ الله قصصهم في هذه السورة ؛ كموسى بن عمران ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وشمويل ، وداود ، وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة . يقول تعالى ذكره : هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض ، والذي كلمته منهم موسى ﷺ ، ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة .

وساق بسنده عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال : يقول : ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم على بعض درجات . يقول : كلم الله موسى ، وأرسل محمداً إلى الناس كافة^(٢) .

وقال البغوي : ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي: كلمه الله تعالى ، يعني موسى عليه السلام ، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ ، يعني : محمداً ﷺ ، وما أوتي نبي آية إلا أوتي نبينا مثل تلك الآية ، وفضل على غيره بآيات مثل : انشقاق القمر بإشارته ، وحنين الجذع على مفارقتها ، وتسليم الحجر والشجر عليه ، وكلام البهائم والشهادة برسالته ، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تُحصى، وأظهرها

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (ص/٥٠٠) .

(٢) تفسير الطبري (٤/٥١٩-٥٢٠) .

القرآن الذي عجز أهل السماء والأرض عن الإتيان بمثله . انتهى^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَنَادَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : وناديننا موسى من ناحية الجبل ، ويعني بالأيمن يمين موسى ؛ لأن الجبل لا يمين له ولا شمال ، وإنما ذلك كما يقال : قام عن يمين القبلة وعن شمالها .

وقوله : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ يقول تعالى ذكره : وأدنيناه مُنَاجِيًّا كما يقال : فلان نديم فلان ومُنَادِمِهِ ، وجليس فلان ومُجَالِسُهُ ، وذُكِرَ أن الله جل ثناؤه أدناه حتى سمع صريف القلم .

ثم ساق بسنده عن ابن عباس : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ قال : أدني حتى سمع صريف القلم^(٢) .

وقال ابن كثير : وقوله ﴿ وَنَادَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ﴾ [أي : الجبل ، ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾]^(٣) أي : الجانب الأيمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة فرآها تلوح فقصدتها فوجدها في جانب الطور الأيمن منه غريبه عند شاطئ الوادي ، فكلّمه الله تعالى وناداه وقرّبه فناجاه . قال ابن عباس : أدني حتى سمع صريف القلم ، وهكذا قال مجاهد وأبو العالية وغيرهم ، يعنون صريف القلم بكتابة التوراة ، وقال السدي ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ قال : أدخل في

(١) تفسير البغوي (ص/١٥٦) .

(٢) تفسير الطبري (١٥/٥٥٩-٥٦٠) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط ، واستدركته من تفسير ابن كثير .

السماء فكلمكم ، وعن مجاهد نحوه^(١) .

وقال البغوي : قوله ﴿وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ يعني يمين موسى ، والطور: جبل بين مصر ومدين ، ويقال اسمه الزبير ، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي : ﴿يَمْوَسَىٰ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ، ﴿وَقَرَّبَتْهُ نَجِيًّا﴾ أي : مناجياً ، فالنجي المناجي ، كما يقال : جليس ونديم ، قال ابن عباس : معناه قرّبه فكلمه ، ومعنى التقريب إسماعه كلامه ، وقيل : رفعه على الحجب حتى سمع صريف القلم . انتهى^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران : ﴿أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني : الكافرين ، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُورُونَ﴾ عقاب الله على كفرهم به^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ونادى آدم وحواء ربهما : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها ، وأعلمكما أن إبليس لكما عدوٌّ مبین ، يقول : قد أبان عداوته لكما بترك السجود لأدم حسداً وبغياً .

وعن ابن عباس قال : لما أكل آدم من الشجرة قيل له : أكلت من الشجرة

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٣٧-٢٣٨) .

(٢) تفسير البغوي (ص ٨٠٤) .

(٣) تفسير الطبري (١٧/٥٥٢) .

التي نهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتني. قال: فأني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً. قال: فرئت حواء عند ذلك، فقيل لها: الرئة عليك وعلى ولدك^(١).

وعن أبي بن كعب قال: كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق، كثير شعر الرأس، فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها، فانطلق هارباً في الجنة، فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة. فقال لها: أرسليني. فقالت: إني غير مرسلتك، فناداه ربه عز وجل: يا آدم أمّني تفر؟ قال: يا رب إني استحييتك.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال ابن جرير يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين فيقول لهم: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ فيما أرسلناهم به إليكم، من دعائكم إلى توحيدنا، والبراءة من الأوثان والأصنام، ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾. قال مجاهد: ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ قال: الحُجْجُ. يعني: الحُجَّة^(٢).

* * *

(١) تفسير الطبري (١٠/١١٤-١١٥).

(٢) تفسير الطبري (١٨/٢٩٦-٢٩٧).

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ،
 ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيْبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] ، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَهَا
 كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥] ، وقوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ
 كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧] ، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] .

قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ
 اللَّهِ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبية : وإن استأمنك يا محمد من
 المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد لسمع
 كلام الله منك ، وهو القرآن الذي أنزله الله عليك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ يقول : فأمنه
 ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ وتتلوه عليه ﴿ثُمَّ أَنْبِئْهُ مَأْمَنَهُ﴾ ، يقول : ثم رده بعد
 سماعه كلام الله - إن هو أبى أن يسلم ، ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله
 فيؤمن إلى ﴿مَأْمَنَهُ﴾ يقول : إلى حيث يأمن منك وامن في طاعتك حتى
 يلحق بداره وقومه من المشركين^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيْبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ
 بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن كثير : يقول تعالى : ﴿أَفَنظَمُونَ﴾
 أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي : ينقاد لكم بالطاعة ، هؤلاء الفرقة
 الضالة من اليهود ، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البيّنات ما شاهدوه؛ ثم
 قست قلوبهم من بعد ذلك ، ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيْبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ

(١) تفسير الطبري (١١/٣٤٦) .

يُحَرِّفُونَهُ ﴿١﴾ أي : يتأولونه على غير تأويله ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي : فهموه على الجلية ، ومع هذا يخالفونه على بصيرة ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله (١) .

قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَمْ قَالَك اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ : سيقول يا محمد المخلفون في أهلهم عن صحبتك إذا سرت معتمراً تريد بيت الله الحرام ، إذا انطلقت أنت ومن صحبتك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة لتأخذوها - وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر - : ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها .

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ يقول : يريدون أن يُغَيِّرُوا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية ؛ وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم ، ووعدهم ذلك عوضاً من غنائم أهل مكة ، إذا انصرفوا عنهم على صلح ، ولم يصيبوا منهم شيئاً .

وقوله : ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَمْ قَالَك اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح : ١٥] يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ : قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد : لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا المسير إليهم لقتالهم ، ﴿كَذَلِكَمْ قَالَك اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ . يقول : هكذا قال الله لنا من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا ، ولستم ممن شهدها ، فليس لكم أن تتبعونا إلى

(١) تفسير ابن كثير ، ط ١ ، (١/٣٠٧-٣٠٨) .

خير ؛ لأن غنيمتها لغيركم^(١) .

قوله : ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧] قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا ، ولا تترك تلاوته واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه ، والعمل بجلاله وحرامه فتكون من الهالكين ، وذلك أن مصير من خالفه ، وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم ، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يقول : لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك ، أهل معاصيه ، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك .

وقوله : ﴿وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ يقول : إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من الله^(٢) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل : ٧٦] قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد ، يقص على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها ، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى ، فقالت اليهود فيه ما قالت ، وقالت النصارى فيه ما قالت ، وتبراً لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء ، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها ، فقال جل ثناؤه لهم : إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم ، فاتبعوه ، وأقروا لما فيه ، فإنه يقص عليكم بالحق ، ويهديكم إلى سبيل الرشاد^(٣) .

(١) تفسير الطبري (٢١/٢٦١ ، ٢٦٤) .

(٢) تفسير الطبري (١٥/٢٣٤) .

(٣) المرجع السابق (١٨/١١٦-١١٧) .

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥] ، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالَوَا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُوا وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٤﴾ [النحل: ١٠٣-١٠٤] .

قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ قال ابن جرير : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ يقول : فاجعلوه إماماً تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس ، ﴿ وَأَتَّقُوا ﴾ يقول : واحذروا الله في أنفسكم أن تضعوا العمل بما فيه ، وتتعدوا حدوده ، وتستحلوا محارمه .

وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ يقول : لئلا تحموا ؛ فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه (١) .

وقال ابن كثير : فيه الدعوة إلى اتباع القرآن ، يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه جبل الله المتين (٢) .

قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ، قال ابن جرير : يقول جل ثناؤه ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى

(١) تفسير الطبري (٥/١٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٦٩) .

جَبَلٍ ﴿ وَهُوَ حَجْرٌ ﴾ لَرَأَيْتُمْ ﴿ يَا مُحَمَّدُ ﴾ خَشِيعًا ﴿ يقول : متذلاً ﴿ مُتَّصِدًا مِّنْ خَشِيَةِ اللَّهِ ﴾ على قساوته ، حذراً من أن لا يؤدِّي حقَّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن ، وقد أنزل على ابن آدم ، وهو بحقه مستخف ، وعنه وعمًا فيه من العبر والذكر مُعرض ، كان لم يسمعها ، كأن في أذنيه قرأ ، وساق بسنده عن ابن عباس قوله ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَّصِدًا مِّنْ خَشِيَةِ اللَّهِ ﴾ قال : يقول : لو أني أنزلتُ هذا القرآن على جبل حملته إياه ، تصدَّع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله عز وجل الناس إذا أنزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع . قال : كذلك يضربُ الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلُّ ﴾ قالوا إنما أنت مفتري بل أكثرهم لا يعلمون ﴿ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره وإذا نسخنا حكم آية ، فأبدلنا مكانه حكم أخرى ، ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلُّ ﴾ . يقول : والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه ، ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ . يقول : قال المشركون بالله المكذبو رسوله لرسوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ ﴾ يا محمد ﴿ مُفْتَرٍ ﴾ أي : مكذب ، تخرصُ بتقول الباطل على الله ، يقول الله تعالى : بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد : إنما أنت مفتر . جهالٌ بأن الذي تأتيهم به من عند الله ، ناسخه ومنسوخه ، لا يعلمون حقيقة صحته .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٥٤٩/٢٢).

ءَامَنُوا وَهَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للقائلين لك : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ ، فيما تتلو عليهم من آي كتابنا ، ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ يقول : قل جاء به جبريل من عند ربي بالحق .

وقوله ﴿ يُثَبِّتِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يقول تعالى ذكره : قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس علي من ربي ، تثبيتاً للمؤمنين ، وتقوية لإيمانهم ؛ ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيماناً لإيمانهم ، وهدى لهم من الضلالة ، وبشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله ، وانقادوا لأمره ونهيه ، وما أنزله في آي كتابه ، فأقرأوا بكل ذلك ، وصدقوا به قولاً وعملاً .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون - جهلاً منهم - : إنما يعلم محمداً هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم ، وما هو من عند الله ، يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قيلهم ذلك : ألا تعلمون كذب ما تقولون ؟ إن لسان الذي تلحدون إليه أعجمي ، يقول : تملون إليه بأنه يعلم محمداً أعجمي . وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمداً هذا القرآن عبد رومي ، فذلك قال تعالى : ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ وهذا القرآن لسان عربي مبين^(١) .

* * *

وقوله : ﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ ٧٧ ﴾ [القيامة] ، ﴿ عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٣] ، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ،
وقوله : ﴿ لَمْ يَأْتِ شَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥] .

وهذا الباب في كتاب الله كثير ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِباً لِلهُدَى مِنْهُ ؛
تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ .

قوله تعالى: ﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ قال ابن جرير : يقول
تعالى ذكره : ﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني : يوم القيامة ، ﴿ نَاصِرَةٌ ﴾ يقول : حسنة
جميلة من النعيم ، يقال من ذلك : نَضَّرَ وَجْهَ فُلَانٍ ، إِذَا حَسُنَ مِنَ النِّعْمَةِ ،
وَنَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِذَا حَسُنَ كَذَلِكَ .

وساق بسنده عن الحسن في قوله: ﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴾ قال: حسنة ، ﴿ إِنَّ
رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ قال : تنظر إلى الخالق ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْضُرَ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لِمَنْ
يَنْظُرُ فِي مَلِكَةِ أَلْفِي سَنَةٍ » ، قال ^(١) : « وَإِنْ أَفْضَلُهُمْ مَنْزِلَةٌ لِمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ
اللَّهِ كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ » قال : ثم تلا : ﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ قال :
بالبياض والصفاء ، قال : ﴿ إِنَّ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ قال : « تَنْظُرُ كُلُّ يَوْمٍ فِي وَجْهِ اللَّهِ
عِزَّ وَجَلَّ » ^(٢) .

وقال ابن كثير : وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في

(١) في الحديث كما سيمر بك قريباً (وإن أعلاهم منزلة) دون تكرار لفظ قال : (قال) .

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٥٠٥، ٥٠٧، ٥١٠) . والحديث رواه الإمام أحمد رقم (٤٦٢٣)

(٨/٢٤٠) ، والترمذي (٢٥٥٣، ٣٣٣٠) .

الأحاديث الصحاح ، من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها ؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة في الصحيحين : أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحابة؟ » قالوا : لا . قال : « فإنكم ترون ربكم كذلك »^(١) .

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »^{(٢)(٣)} .

قوله تعالى : ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ قال ابن جرير : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ على السرر في الحجال من اللؤلؤ والياقوت ، ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم والخبور في الجنات^(٤) .

وقال على قوله تعالى : ﴿ قَالِیْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ يقول تعالى ذكره : ﴿ قَالِیْمَ ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالله في الدنيا ﴿ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ فيها ﴿ يَضْحَكُونَ ﴾ ، ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ يقول : على سررهم التي في الحجال ينظرون إليهم وهم في الجنة ، والكفار

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧ ، ٧٤٣٨) ، ومسلم (١٨٢) .

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٤) ، ومسلم (١٨٠) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢٧٩/٨ - ٢٨٠) .

(٤) تفسير الطبري (٢٤/٢١٣) .

في النار يُعذبون^(١) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ أي : محجوبون عن رؤيته وعن كرامته^(٢) .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ أي : يوم القيامة هم في نعيم مقيم ، وجنات فيها فضلٌ عميم ﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴿ وهي : السرر تحت الحجال ، ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ قيل : معناه : ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبسد ، وقيل : معناه ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ إلى الله عز وجل . وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ ، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم ، كما تقدم في حديث ابن عمر : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين^(٣) » .

وقال أيضاً : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ أي : في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ أي : إلى الله عز وجل ، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ، ليسوا بضالين ؛ بل هم من أولياء الله المقربين ،

(١) المرجع السابق (٢٤/٢٢٧) .

(٢) تفسير الطبري (٢٤/٢٠٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (٨/٣٥٢) . وقد تقدم تحريجه ص ٩٦ .

ينظرون إلى ربهم في دار كرامته^(١) .

قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ الحسنى هي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل ، وهذا قول أبي بكر الصديق وغيره من السلف والخلف .

قال ابن جرير : إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة ، وأن يبيض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم عُرفاً من لآلىء ، وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً ، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال ابن جرير : وقوله : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾ يقول : لهؤلاء المتقين ما يريدون في هذه الجنة التي أزلفت لهم من كل ما تشتهي نفوسهم وتلذذ أعينهم ، وقوله : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ يقول : وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه ، وقيل : إن ذلك المزيد النظر إلى الله جل ثناؤه .

ذكر من قال ذلك : حدثنا أحمد بن سهل الواسطي قال : حدثنا قره بن عيسى قال : حدثنا النضر بن عربي عن جده عن أنس : « إن الله عز وجل

(١) المرجع السابق (٨/٣٥٤) .

(٢) تفسير الطبري (١٢/١٦٤-١٦٥) .

إذا أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، هبط إلى مرج من الجنة أفيح ، فمد بينه وبين خلقه حُجْباً من لؤلؤ ، وحُجْباً من نور ، ثم وضعت منابر النور، وسُرُر النور ، وكراسي النور ، ثم أذن لرجلٍ على الله عز وجل .. إلى أن قال : ثم ناداهم الرب عز وجل من وراء الحُجْب : مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي ، أكلوا وشربوا وفكهوا وكُسُوا وطيبوا ، وعزتي لأتجلىن لهم حتى ينظروا إلي . فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد . قال : فتجلى لهم الرب عز وجل ثم قال : السلام عليكم عبادي ، انظروا إلي فقد رضيت عنكم» الحديث^(١) .

وقال البغوي : ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾ ، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاءوا ، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه ، وهو قوله : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم . وقال جابر وأنس : هو النظر إلى وجه الله الكريم^(٢) .

* * *

(١) تفسير الطبري (٢١/٥٤٥-٤٥٧). قال ابن كثير في تفسيره (٧/٣٨٥) : فيه غرائب كثيرة .

(٢) تفسير البغوي (ص ١٢٣٠) .

فصل

في سنة رسول الله ﷺ

فالسنة تُفسرُ القرآنَ ، وتُبينهُ ، وتدُلُّ عليه ، وتُعبّرُ عنه .

وما وصَفَ الرسولُ به رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الأحاديثِ الصَّحاحِ التي تَلَقَّاهَا أهلُ المعرفةِ بالقبولِ؛ وَجَبَ الإيمانُ بها كذلك :

مثل قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ حِينٍ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ ، فيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» . متفق عليه^(١) .

وقوله ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ [المؤمن التائب] مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَأْسِهِ» . متفق عليه^(٢) .

وقوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ» . متفق عليه^(٣) .

وقوله ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزْلِينَ قَنَطِينَ ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ ؛ يَعْلَمُ أَنْ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» حديث حسن^(٤) .

وقوله ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وهي تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا رَجُلَهُ ، وفي رواية: عَلَيْهَا قَدَمُهُ ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ» . متفق عليه^(٥) .

(١) رواه البخاري (٧٤٩٤) ، ومسلم (٧٥٨) .

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٩) ، ومسلم (٢٧٤٤) ، (٢٧٤٧) .

(٣) رواه البخاري (٢٨٢٦) ، ومسلم (١٨٩٠) .

(٤) رواه الإمام أحمد (١٦٢٨٨) ، وابن ماجه (١٨١) بلفظ: «ضحك ربنا» .

(٥) رواه البخاري (٤٨٤٨) ، ومسلم (٢٨٤٨) .

وقوله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لِيَبْكُ وَسَعْدَيْكَ . فَيَنَادِي بِصَوْتٍ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْتًا إِلَى النَّارِ . متفق عليه ^(١) .
 وقوله : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ » ^(٢) .

قال البغوي في « شرح السنة » : القَدَم والِرِجْل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه ، وكذلك كلُّ ما جاء من هذا القبيل في الكتاب والسنة كاليد والإصبع وغيرها ، فالإيمان بها فرضٌ ، والامتناع عن الخوض فيها واجب ، فالمهتدي يسلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زائغ ، والمنكر معطلٌ ، والمكيف مشبهٌ ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ . انتهى ^(٣) .

وقال الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعي ، ومالك ، والثوري ، والليث بن سعد ، عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا : أمرؤها كما جاءت بلا كيف .
 وقال إسحاق بن راهويه : إنما يكون التشبيه لو قيل له يدٌ كيدٍ وسمعٌ كسمعٍ .

وقال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ، ولم يكتفوا شيئاً منها ، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا : من أقرَّ بها فهو مشبهٌ ؛ فسامهم من أقرَّ بها معطلةٌ . انتهى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

-
- (١) رواه البخاري (٧٤٨٣) ، ومسلم (٢٢٢) .
 (٢) رواه البخاري (٦٥٣٩) ، ومسلم (١٠١٦) .
 (٣) انظر : شرح السنة للبغوي (١/١٧٠-١٧١) .

وقوله في رُقيّة المريض : «رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ ، اجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأُ» . حديث حسن رواه أبو داود وغيره^(١) .

وقوله : «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ» حديث صحيح^(٢) .

وقوله : «والعرشُ فوقَ الماءِ ، واللهُ فوقَ العرشِ ، وهو يعلمُ ما أنتم عليه» . حديث حسن ، رواه أبو داود وغيره^(٣) .

وقوله للجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟» . قالت : في السماء . قال : «مَنْ أَنَا؟» .

قالت : أنتَ رسولُ الله . قال : «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» . رواه مسلم^(٤) .

قال البخاري : باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود : ٧] ، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] قال أبو العالية : استوى إلى السماء : ارتفع فسوأمهن : خلقهن . وقال مجاهد : استوى : علا على العرش^(٥) .

قال الحافظ : وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب «الفاروق» بسنده

(١) رواه الإمام أحمد (٢٤٤٥٧) (٢٠/٦) ، وأبو داود (٣٨٩٢) .

(٢) رواه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٣) ، وأحمد (٢٠٦/١) .

(٤) رواه مسلم برقم (٥٣٧) .

(٥) البخاري مع الفتح (٤١٤/٨) باب (٢٢) كتاب التوحيد .

إلى داود بن علي بن خلف قال : كنا عند أبي عبدالله ابن الأعرابي - يعني محمد بن زياد اللغوي - فقال له رجل : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ؟ فقال : هو على العرش كما أخبر . فقال : يا أبا عبدالله ، إنما معناه استولى . فقال : اسكت ، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضادٌ . وقال غيره : لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش لأنه غالبٌ على جميع المخلوقات .

ونقل محيي السنة البغوي في « تفسيره » عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه : ارتفع . وقال أبو عبيد والفراء وغيرهما بنحوه .

وأخرج أبو القاسم اللالكائي في « كتاب السنة » من طريق الحسن البصري عن أمّه عن أمّ سلمة أنها قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر .

وأخرج البيهقي بسندٍ جيد عن الأوزاعي قال : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله على عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . انتهى^(١) .

وقال في « شرح الطحاوية » : « روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه « الفاروق » ، بسنده إلى مطيع البلخي : أنه سأل أبا حنيفة عمّن قال : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ! فقال : قد كفر ؛ لأن الله يقول : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وعرشه فوق سبع سمواته . قلت : فإن قال : إنه على العرش ، ولكن يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال : هو كافر ؛ لأنه أنكر أنه في السماء ، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر^(٢) .

(١) فتح الباري (١٣/٤٩٩-٥٠٠) طبعة دار السلام .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٦٧) تحقيق أحمد شاکر ، دار الإفتاء .

وقوله : « أفضلُ الإيمانِ أنْ تعلمَ أنْ اللهُ معك حيثما كنتَ » . حديث حسن^(١) .

وقوله : « إذا أقام أحدكم إلى الصلّاة ؛ فلا يَبْصُقْ قَبْلَ وَجْهِهِ ، ولا عَنْ يَمِينِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَ قَبْلَ وَجْهِهِ ، ولكنْ عَنْ يَسَارِهِ ، أوْ تَحْتَ قَدَمِهِ . متفق عليه^(٢) .

وقوله ﷺ : « اللهم ربّ السماوات السبع والأرض ، وربّ العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، مُنزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين وأغنني من الفقر » . رواه مسلم^(٣) .

وقوله ﷺ لما رَفَعَ الصحابة أصواتهم بالذكر : « أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم ؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً ، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » . متفق عليه^(٤) .

وقوله : « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا » . متفق عليه^(٥) .

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يُخبرُ فيها رسولُ الله ﷺ عن ربّه بما

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٠٧) ، وأبو نعيم في الحلية (١٢٤/٦) .

(٢) رواه البخاري (٤٠٥) ، ومسلم (٥٤٧) .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٧١٣) .

(٤) رواه البخاري (٦٦١٠) ، ومسلم (٢٧٠٤) .

(٥) رواه البخاري (٥٥٤) ، ومسلم (٦٣٣) .

يُخبرُ به؛ فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعة يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كما يُؤْمِنُونَ بما أَخْبَرَ اللهُ به في كتابه؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ ولا تَعْطِيلٍ ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ولا تَمَثِيلٍ ، بل هُمُ الوَسْطُ في فِرْقِ الأُمَّةِ ، كما أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسْطُ في الأُمَّمِ .

فَهُمْ وَسْطٌ في بابِ صِفاتِ اللهِ سُبْحانَهُ وتعالى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ التَّمَثِيلِ المَشْبُهَةِ .

وَهُم وَسْطٌ في بابِ أفعالِ اللهِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ والقَدْرِيَّةِ وغيرِهِم .

وفي بابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ المَرَجَّةِ والوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدْرِيَّةِ وغيرِهِم .

وفي بابِ أسماءِ الإِيمانِ والذِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ والمَعْتَزَلَةِ وبَيْنَ المَرَجَّةِ والجَهْمِيَّةِ .

وفي أَصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّاغِبَةِ والخَوارجِ .

قال في « فتح الباري » في أول كتاب التوحيد : قال ابن حزم في كتاب « الملل والنحل » : فَرَّقَ المَقْرَبِينَ بِمِلَّةِ الإِسلامِ خَمْسَ : أَهْلَ السُّنَّةِ ، ثم المَعْتَزَلَةَ ومنهم القَدْرِيَّةُ ، ثم المَرَجَّةُ ومنهم الجَهْمِيَّةُ والكَرَّامِيَّةُ ، ثم الرَّاغِبَةُ ومنهم الشِيعَةُ ، ثم الخَوارجِ ومنهم الأزارقة والإِياضِيَّةُ ، ثم اِفتَرَقوا فِرْقاً كَثيرَةً ، فأكثر اِفتراقِ أَهْلِ السُّنَّةِ في الفروعِ ، وأما في الاعتقادِ ففِي نُبْذِيسِيرةٍ ، وأما الباقون ففِي مَقالاتِهِم ما يخالِفُ أَهْلَ السُّنَّةِ الخِلافَ البعيدَ والقريبَ .

فأقربَ فِرْقِ المَرَجَّةِ من قال : الإِيمانُ التَّصديقُ بالقلبِ واللسانِ فقط ، وليست العبادَةُ مِنَ الإِيمانِ ، وأبعدهم الجَهْمِيَّةُ القائلونُ بأنَّ الإِيمانَ عَقْدٌ بالقلبِ فقط وإنَّ أَظْهَرَ الكُفْرِ والتَّليثِ بلسانِهِ و عبد الوثنِ من غيرِ تَقِيَةٍ ، والكَرَّامِيَّةُ القائلونُ بأنَّ الإِيمانَ قولٌ باللسانِ فقط وإنَّ اعتقدَ الكُفْرَ بقلبه ... - وساق الكلامَ على بَقِيَةِ الفِرْقِ ، ثم قال - : ... فأما المَرَجَّةُ فعمدَتِهِم

الكلام في الإيمان والكفر فمن قال: إن العبادة من الإيمان ، وأنه يزيد وينقص ولا يكفر مؤمناً بذنب ، ولا يقول أنه يخلد في النار فليس مرجحاً ، ولو وافقهم في بقية مقالاتهم .

وأما المعتزلة فعمدتهم الكلام في الوعد والوعيد والقدر ، فمن قال : القرآن ليس بمخلوق ، وأثبت القدر ورؤية الله تعالى في القيامة ، وأثبت صفاته الواردة في الكتاب والسنة ، وأن صاحب الكبائر لا يخرج بذلك عن الإيمان فليس بمعتزلي ، ولو وافقهم في سائر مقالاتهم ... - وساق بقية ذلك إلى أن قال - : ... وأما الكلام فيما يوصف الله به فمشارك بين الفرق الخمس من مثبت لها ونافٍ ، فرأس النفاة المعتزلة والجهمية فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطلون ، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكُرّامية فإنهم بالغوا في ذلك حتى شبهوا الله تعالى بمخلقه تعالى الله سبحانه عن أقوالهم علواً كبيراً ، ونظير هذا التباين قول الجهمية أن العبد لا قدرة له أصلاً ، وقول القدرية أنه يخلق فعل نفسه . انتهى^(١) .

وقال القرطبي في شرح حديث «أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصيم»^(٢) : هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ، وردّه بالأوجه الفاسدة ، والشبه الموهمة ، وأشدُّ ذلك الخصومة في أصول الدين ، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ وسلف أمته ، إلى طرق مبتدعة ، واصطلاحات مخترعة ،

(١) فتح الباري (١٣/٤٢٣-٤٢٤) ط. دار السلام .

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٧) ، ومسلم (٢٦٦٨) .

وقوانين جدلية ، وأمور صناعية ، مدار أكثرها على آراء سُوفسطائية ، أو مناقضات لفظية ، ينشأ بسببها على الآخذ فيها شُبّه ربما يعجز عنها ، وشكوكٌ يذهب الإيمان معها ، وأحسنهم انفصلاً عنها أجدهم لا أعلمهم ، فكم من عالمٍ بفساد الشبهة لا يقوى على حلها ، وكم من منفصلٍ عنها لا يدرك حقيقة علمها ، ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعاً من المحال لا يرتضيها البُله ولا الأطفال ، لما بحثوا عن تحيُّز الجواهر والألوان والأحوال ، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كفيات تعلقات صفة الله تعالى ... - إلى أن قال - : ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات ، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان عاجز عن كيفية نفسه مع وجودها ، وعن كيفية إدراك ما يدركُ به ، فهو عن إدراك غيره أعجز ، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزّهة عن الشبيه ، مقدس عن النظر ، متصف بصفات الكمال ، ثم متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه ، كما هو طريق السلف ، وما عداه لا يأمن صاحبه من الزلل ، ويكفي في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبدالعزيز ومالك بن أنس والشافعي ، وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين ، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلالاً - قال - : وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك ، وبيعضهم إلى الإلحاد ، وبيعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات ، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع ، وتطلبهم حقائق الأمور من غيره ، وليس في قوة العقل ما

يدرك ما في نصوص الشارع من الحكم التي استأثر بها ، وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم ، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال : ركبتُ البحر الأعظم ، وغصتُ في كلِّ شيءٍ نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فراراً من التقليد ، والآن فقد رجعتُ واعتقدتُ مذهب السلف . انتهى^(١) .

* * *

(١) نقله المؤلف من فتح الباري (١٣/٤٢٧-٤٢٨)، وهو في المفهم (٦/٦٩٠-٦٩١).

فصل

وقد دخلَ فيما ذكرناه مِنَ الإيمانِ باللهِ الإيمانُ بما أخبرَ اللهُ بهِ في كتابه ، وتواترَ عَنْ رَسولِهِ ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سلفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سبَحانَهُ فَوْقَ سَمَواتِهِ عَلى عَرشِهِ ، عَلِيٌّ عَلى خَلقِهِ ، وَهُوَ سبَحانَهُ مَعَهُمُ أَيّما كانوا ، يَعلَمُ ما هُمُ عَاملونَ؛ كما جَمَعَ بَينَ ذلكِ في قولِهِ : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] .

وليسَ مَعنى قولِهِ : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ : أَنَّهُ مَحْتَلِطٌ بِالخَلقِ ؛ فَإِنَّ هَذا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ ، وَهُوَ خِلافُ ما أَجمَعَ عَلَيْهِ سلفُ الأُمَّةِ ، وَخِلافُ ما فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلقَ بِلِ القَمَرِ آيَةً مِنْ آياتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلوقاتِهِ ، وَهُوَ مَوْضوعٌ فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ مَعَ المَسافِرِ وَغَيرِ المَسافِرِ أَيّما كانَ .

وَهُوَ سبَحانَهُ فَوْقَ عَرشِهِ ، رَقِيبٌ عَلى خَلقِهِ ، مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمُ ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمُ... إلى غَيرِ ذلكِ مِنْ مَعانِي رَبوبِيَّتِهِ .

وَكُلُّ هَذا الكَلامِ الَّذي ذَكَرَهُ اللهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ العَرشِ ، وَأَنَّهُ مَعنا - حَقٌّ عَلى حَقيقَتِهِ ، لا يَحتاجُ إلى تَحريفٍ ، وَلَكنْ يُصانُ عَنِ الظُّنونِ الكاذِبَةِ؛ مِثْلَ أنْ يُظنَّ أنْ ظاهِرَ قولِهِ : ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ : أنْ السَّمَاءُ تُظَلُّهُ أوْ تُقَلُّهُ ، وَهَذا باطلٌ بِإجماعِ أَهلِ العِلْمِ والإيمانِ؛ فَإِنَّ اللهُ قَدِ وَسِعَ كَرسِيَّهُ السَمَواتِ وَالْأَرْضَ ، وَهُوَ يُمَسِكُ السَمَواتِ وَالْأَرْضَ أنْ تُزولا ، وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أنْ تُقعَّ عَلى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ ، وَمِنْ آياتِهِ أنْ تَقومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ .

فصل

وقد دَخَلَ في ذلكِ: الإيمانُ بأنَّهُ قَريبٌ مُجيبٌ ؛ كما جَمَعَ بَينَ ذلكِ في قولِهِ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَريبٌ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦] ، وقولِهِ ﷻ :

«إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١) .
وما ذُكر في الكتابِ والسُنّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذَكَرَ مِنْ عُلُوِّهِ
وَفَوْقِيَّتِهِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي
دُنُوِّهِ ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ .

فصل

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتِبَ : الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ ، مُنْزَلٌ ، غَيْرُ
مَخْلُوقٍ ، مِنْهُ بَدَأُ ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً ، وَأَنَّ هَذَا
الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً ، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ .
وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ ، بَلْ
إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ
اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِئْمًا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدَأً ، لَا
إِلَى مَنْ قَالَهُ مَبْلَغًا مُؤَدِّيًا . وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ ، حُرُوفُهُ ، وَمَعَانِيهِ ، لَيْسَ كَلَامُ
اللَّهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي ، وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ .

فصل

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَيَكْتَبُهُ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِرَسُولِهِ : الْإِيمَانُ
بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ
بِهَا سَحَابٌ ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ . يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ
وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ ؛ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى .

فصل

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ

(١) تقدم تخريجه ، وهو متفق عليه .

بعد الموت ، فيؤمنون بفتنة القبر ، وبعذاب القبر ونعيمه .

فأما الفتنة؛ فإنّ الناس يمتحنون في قبورهم ، فيقال للرجل: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك؟ وَمَنْ نبيُّك؟. فَيُثَبِّتَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، فيقول المؤمنُ : رَبِّي اللهُ ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّ .

وأما المُرْتَابُ ؛ فيقولُ : هاه هاه ، لا أدري ، سمعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شيئاً فقلته ، فيضْرَبُ بِمَرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ، فيصْبِحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ؛ وَلَوْ سَمِعَهَا لَصَعِقَ .

ثم بعد هذه الفتنة : إمّا نعيمٌ وإمّا عذابٌ ، إلى أن تقوم القيامة الكبرى ، فتعاد الأرواحُ إلى الأجسادِ ، وتقومُ القيامةُ التي أخبر اللهُ بها في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، وأجمعَ عليها المسلمون ، فيقومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لَرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا ، وتدنو منهم الشمسُ ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ .

فتنصبُ الموازينُ ، فتوزنُ بها أعمالُ العبادِ : ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون] .

وتنشرُ الدواوينُ ، وهي صحائفُ الأعمالِ ، فأخذَ كتابه بيمينه ، وأخذَ كتابه بشماله أو مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِيقَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْهُورًا﴾ أقرأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء] . وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلَائِقَ ، ويخلو بعبده المؤمن ، فيقرُّه بذنوبه ؛ كما وصفَ ذلك في الكتاب والسنة .

وأما الكفّارُ فلا يُحاسبون محاسبةً من تُوزنُ حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم ، ولكن تُعدُّ أعمالهم فتُحصى ، فيوقفون عليها ، ويُقررون عليها ، ويجزون عليها .

وفي عَرَصاتِ القيامةِ الحوضُ المورودُ للنبيِّ ﷺ ، ماؤه أشدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ ، وأحلى مِنَ العَسَلِ ، آئيته عددُ نجومِ السَّماءِ ، طوله شهرٌ ، وعرضه شهرٌ ، مَنْ يشربُ منه شربةً ؛ لا يظمأ بعدها أبداً .

والصراطُ المنصوبُ على متنِ جهنّمَ ، وهو الجسرُ الذي بين الجنةِ والنارِ ، يمرُّ النَّاسُ على قدرِ أعمالِهِمْ ، فمنهم مَنْ يمرُّ كَلَمَحِ البَصْرِ ، ومنهم مَنْ يمرُّ كالبرقِ ، ومنهم من يمرُّ كالريحِ ، ومنهم مَنْ يمرُّ كالفرسِ الجوادِ ، ومنهم مَنْ يمرُّ كركابِ الإبلِ ، ومنهم من يعدو عدواً ، ومنهم مَنْ يمشي مشياً ، ومنهم مَنْ يزحفُ زحفاً ، ومنهم مَنْ يُخطفُ خطفاً ويلقى في جهنّمَ؛ فإنَّ الجسرَ عليه كلابٌ تخطفُ النَّاسَ بأعمالهم .

فمَنْ مرَّ على الصِّراطِ دَخَلَ الجنةَ ، فإذا عَبَرُوا عليه؛ وَقَفُوا على قنطرةٍ بين الجنةِ والنارِ ، فيقتصُّ لبعضهم من بعض ، فإذا هَدَّبُوا ونُقُوا؛ أذن لهم في دخولِ الجنةِ .

وأولُ من يَسْتَفْتِحُ بابَ الجنةِ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وأولُ مَنْ يدخلُ الجنةَ مِنَ الأُمَّمِ أُمَّتُهُ .

وله ﷺ [في القيامةِ] (١) ثلاثُ شفاعاتِ :

أما الشفاعةُ الأولى : فيشفَعُ في أهلِ الموقفِ حتّى يقضى بينهم بعد أن

(١) ليست في المخطوط ، وقد أضفتها من بعض النسخ المطبوعة .

يترجع الأنبياء - آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم -
عن الشفاعة حتى تنتهي إليه .

وأما الشفاعة الثانية : فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة .
وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

وأما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له
ولسائر النبيين والصدّيقين وغيرهم ، فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها ،
ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .

ويُخرجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَيَبْقَى
فِي الْجَنَّةِ فَضْلًا عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، فَيُنشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا ،
فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ .

وأصناف ما تضمّنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب
والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء ،
والآثار من العلم الماثور عن الأنبياء ، وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ
من ذلك ما يشفي ويكفي ، فمن ابتغاه وجدّه .

وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره .

والإيمان بالقدر على درجتين ، كلُّ درجة تتضمن شيئين .

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علّم بالخلق ، وهم عاملون
بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلاً وأبدًا ، وعلم جميع أحوالهم
من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال .

ثم كتّب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ؛ فأول ما خلق الله القلم ؛
قال له : اكتب . قال : ما أكتب ؟ . قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم

القيامة .

فما أصابَ الإنسانَ لم يكنْ ليخطئه ، وما أخطأه لم يكنْ ليصيبه ، جفتِ الأقلامُ ، وطويتِ الصحفُ؛ كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧٠] ، وقال : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد : ٢٢] .

وهذا التقديرُ التابعُ لعلمه سبحانه يكونُ في مواضعَ جملةً وتفصيلاً؛ فقد كُتِبَ في اللوحِ المحفوظِ ما شاء .

وإذا خَلَقَ جَسَدَ الجنينِ قبلَ نفخِ الروحِ فيه؛ بعثَ إليه ملكاً ، فيؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ ، فيقالُ له: اكتبْ: رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد . ونحو ذلك ، فهذا التقديرُ قد كان يُنكره غلاةُ القدريةِ قديماً ، ومُنكروه اليومَ قليلاً .

وأما الدرَجَةُ الثانيةُ : فهي مشيئةُ اللهِ التَّافِذَةُ ، وقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ ، وهو : الإيمانُ بأنَّ ما شاءَ اللهُ كانَ ، وما لم يشأْ لم يكنْ ، وأنه ما في السَّمَاوَاتِ وما في الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سبحانه ، لا يكونُ في ملكِهِ ما لا يريدُ ، وأنه سبحانه على كلِّ شيءٍ قديرٌ مِنَ الموجوداتِ والمعدوماتِ ، فما مِنْ مخلوقٍ في الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سبحانه ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ .

ومع ذلك؛ فقد أمرَ العبادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ ، ونهاهمُ عَنِ مَعْصِيَتِهِ .

وهو سبحانه يحبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ ، ويرضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ

الفاسقين ، ولا يأمرُ بالفحشاءِ ، ولا يَرْضَى لعبادِهِ الكُفْرَ ، ولا يُحِبُّ
الفسَادَ .

والعبادُ فاعِلُونَ حقيقةً ، واللهُ خالقُ أفعالِهِمْ .

والعبدُ هو : المؤمنُ ، والكافرُ ، والبرُّ ، والفاجرُ ، والمصلّي ، والصائمُ .

وللعبادِ قدرةٌ على أعمالِهِمْ ، ولهم إرادةٌ ، واللهُ خالقُهُمْ وقدرتُهُمْ
وإرادتُهُمْ؛ كما قال تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ [التكوير : ٢٨-٢٩] .

وهذه الدرجةُ مِنَ القَدْرِ يُكذَّبُ بها عامَّةُ القَدَرِيَّةِ الذين سَمَّاهُم النبيُّ
ﷺ مجوسَ هذه الأمةِ ، وَيَعْلُو فيها قومٌ من أهلِ الإثباتِ ، حتَّى سَلَبُوا
العبدَ قدرتهُ واختياره ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أفعالِ اللَّهِ وأحكامِهِ حِكْمَهَا
ومَصالِحَهَا .

قوله : « الذين سماهم النبي ﷺ » يشير إلى ما أخرجه أحمد عن عبدالله بن
عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لكل أمة مجوس ، ومجوس أمّتي الذين يقولون :
لا قدر ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »^(١) .

* * *

(١) رواه الإمام أحمد (٤١٥/٩) رقم (٥٥٨٤) طبعة مؤسسة الرسالة ، وأخرجه أبوداود
(٤٦٩١) ، والحاكم (٨٥/١) ، وابن أبي عاصم في السنة (٣٣٩) ، وابن الجوزي
في العلل المتناهية (٢٢٧) قال العلامة الألباني - رحمه الله - : حديث حسن وإسناده
ضعيف .

فصل

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ،
قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ .
وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ .

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقَبْلَةِ بِمَطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا
يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ ، بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿فَمَنْ عَفَى لَمْ يَنْبَغِ عَنْهُ قَاتِلًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] ، وَقَالَ : ﴿وَإِنْ طَافَيْنَا
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى
تَفِئَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠٠﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات ٩-١٠] .

وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمَلِيَّ الْإِسْلَامَ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛
كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزَلَةُ ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ :
﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] ، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ
الْمَطْلُوقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا
تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] .

وَقَوْلُهُ ﷺ : «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ
الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَتَّهَبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١) .
وَنَقُولُ : هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ ،

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥، ٥٥٧٨) ، ومسلم (٥٧) .

فلا يُعطى الاسم المطلق ، ولا يُسلبُ مطلقَ الاسم .

فصل

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسِّيْتَمُ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] ، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : « لَا تُسَبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نُصِيفَهُ »^(١) .

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ . وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلَ ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ . وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ - : « اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »^(٢) .

وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَاعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَالْعَشْرَةِ وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ .

وَيُقَرِّوْنَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ الثَّقَلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) .

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ، وثلاثون
بعثمان ، ويربّعون بعلي - رضي الله عنهم - كما دلّت عليه الآثار ،
وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة .

مع أن بعض أهل السنّة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي - رضي
الله عنهما - بعد انفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟
فقدّم قوم عثمان وسكتوا ، أو ربّعوا بعلي ، وقدّم قوم علياً ، وقوم
توقّفوا ، لكن استقرّ أمر أهل السنّة على تقديم عثمان ، ثم علي .
وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول
التي يضلّل المخالف فيها عند جمهور أهل السنّة ، لكن التي يضلّل فيها
مسألة الخلافة ، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ:
أبو بكر ، وعمر ، ثم عثمان ، ثم علي .

ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء؛ فهو أضلّ من حمار أهله .
ويحبون آل بيت رسول الله ﷺ ويتولّونهم ، ويحفظون فيهم وصية
رسول الله ﷺ ، حيث قال يوم غدِير خُم : «أذكركم الله في أهل بيتي» (١) .
وقال أيضاً للعبّاس عمّه - وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجنّفوني
هاشيم - فقال : «والذي نفسي بيده؛ لا يؤمنون حتى يجنّفوكم؛ الله
ولقرايتي» (٢) .

وقال : «إن الله اصنّفني بني إسماعيل ، واصنّفني من بني إسماعيل

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) .

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٧٥٨) وقال : حسن صحيح ، والإمام أحمد في المسند
(١٦٥/٤) (١٧٧٢ ، ١٧٧٣ - شاکر) وصحح إسناده أحمد شاکر ، وأخرجه أيضاً
الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٧٥٦) .

كِئَانَةٌ ، واصْطَفَى مِنْ كِئَانَةِ قُرَيْشًا ، واصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بْنِ هَاشِمٍ ، واصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» (١) .

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ خُصُوصًا خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ .

وَالصَّديقَةُ بِنْتُ الصَّديقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ : «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» (٢) .

وَيَتَّبِعُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرُّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ ، وَطَرِيقَةَ التُّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَةَ فِي مَسَائِرِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغَيْرَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ : إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ .

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَصِغَائِرِهِ ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذَّنُوبُ فِي الْجَمَلَةِ ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفَرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ - حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَحْوِي السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ : « خَيْرُ الْقُرُونِ » (٣) ، « وَأَنَّ الْمُدَّ

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) .

(٢) رواه البخاري (٣٧٧٠) ، ومسلم (٢٤٤٦) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣) .

مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ مِنْ أَحَدٍ ذَهَباً مِمَّنْ بَعْدَهُمْ»^(١) .
ثمّ إذا كان قد صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فيكون قد تابَ منه ، أو أتى
بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ ، أو غُفِرَ لَهُ ؛ بفضلِ سابقته ، أو بشفاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الذي
هُم أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ ، أو ابتليَ ببلاءٍ في الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ .
فإذا كان هذا في الذنوبِ المُحَقَّقَةِ؛ فكيف الأمورُ التي كانوا فيها
مجتهدينَ : إن أصابوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ ، وإن أخطؤوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ ،
والخطأ مغفورٌ .

ثمّ إنَّ القَدَرَ الذي يُنكَرُ مِنْ فِعْلٍ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ ، نَزَرَ مغفورٌ في جنبِ
فضائلِ القومِ ومحاسنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ،
وَالهَجْرَةِ ، وَالنُّصْرَةَ ، وَالْعِلْمَ النَّافِعَ ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ .
وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القومِ بَعْلَمَ وَبَصِيرَةً ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ
الفضائلِ؛ عَلمَ يَقِيناً أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأنبياءِ ، لا كان ولا يكونُ
مثلُهُمْ ، وَأَنَّهُم الصُّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هذه الأُمَّةِ التي هي خَيْرُ الأُمَّمِ وَأَكْرَمُهَا
على الله .

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ : التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأوليَاءِ ، وَمَا يُجْرِي اللهُ
على أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ العاداتِ ، فِي أنواعِ العُلومِ وَالْمَكاشِفَاتِ ،
وأنواعِ القُدْرَةِ وَالتَّأثيراتِ ، كَالْماثُورِ عَنْ سالفِ الأُمَّمِ فِي سورةِ الكهفِ
وغيرها ، وَعَنْ صَدْرِ هذه الأُمَّةِ مِنَ الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسائِرِ فِرْقِ
الأُمَّةِ ، وَهي موجودةٌ فيها إلى يومِ القِيامَةِ .

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) .

فصل

ثمّ من طريقة أهل السنّة والجماعة أتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً ، وأتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وأتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها ، وعصوا عليها بالتواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»^(١) .

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد ؛ ولهذا سموا أهل الكتاب والسنّة ، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع ، وضدّها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين .

والإجماع هو الأصل الثالث الذي يُعتمدُ عليه في العلم والدين . وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال^(٢) باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين . والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح ، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشر في الأمة .

فصل

ثم هم مع هذه الأصول يأمرّون بالمعروف ، وينهون عن المنكر؛ على ما توجبه الشريعة .

(١) رواه أبوداود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وصححه الألباني .

(٢) في المخطوط : من أعمال وأفعال ، والصواب ما أثبتته .

وَيَرُونَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَاراً كَانُوا
أَوْ فُجَّاراً ، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ .

وَيَدِينُونَ بِالنُّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : «الْمُؤْمِنُ
لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَيْتَانِ الْمَرْصُوعَيْنِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»^(١) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ،
وقوله ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ
الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهْرِ»^(٢) .
وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرِّخَاءِ ، وَالرِّضَا بِمُرِّ
الْقَضَاءِ .

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى
قَوْلِهِ ﷺ : «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٣) .

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تُصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ
ظَلَمَكَ ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ،
وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَالرَّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ ،
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ ، وَالْحِيَلَاءِ ، وَالْبَغْيِ ، وَالْإِسْطِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقِّ أَوْ
بِغَيْرِ حَقِّ ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفْسَافِهَا .

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ ، وَطَرِيقَتِهِمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ .

(١) رواه البخاري (٤٨١) ، (٢٤٤٦) ، ومسلم (٢٥٨٥) .

(٢) رواه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) .

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢) ، والترمذي (١١٦٢) . وصححه الألباني في صحيح الجامع

لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ،
كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة ، وفي حديث عنه أنه قال : «هم
من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١) ؛ صار المتمسكون
بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة .
وفيهم الصديقون ، والشهداء ، والصالحون ، ومنهم أعلام الهدى ،
ومصايح الدجى ، أوّلو المناقب الماثورة ، والفضائل المذكورة ، وفيهم
الأبدال ، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ، وهم
الطائفة المنصورة ، الذين قال فيهم النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمّتي على
الحق منصورّة ، لا يضرّهم من خالفهم ، ولا من خذلهم ، حتّى تقوم
الساعة »^(٢) .

نسأل الله أن يجعلنا منهم ، وألا يزيد قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب
لنا من لدنه رحمة إله هو الوهاب . والله أعلم .
[وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً]^(٣) .

قوله : « وفيهم الأبدال » أي : العلماء الزهّاد . قال في « النهاية » : في
حديث علي رضي الله عنه : « الأبدال بالشام » هم الأولياء والعباد ، والواحد : بدل
وبدل ، سُموا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر^(٤) .

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) ، وحسنه الألباني .

(٢) رواه البخاري (٣٦٤٠ ، ٣٦٤١) ، ومسلم (١٩٢٠) .

(٣) ليست في المخطوطة وهي في النسخ المطبوعة .

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٠٧/١) دار الكتب العلمية .

وقال في «القاموس»: والأبدال: قوم بهم يُقيمُ اللهُ عز وجل الأرض، وهم سبعون، أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس^(١).

وقال عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله: أما الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن فيهم - يعني أهل الشام - الأبدال الأربعين رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً»^(٢)، وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله - ولا بد أن يقيم الله فيهم من تقوم به الحجة خلفاً عن الرسل ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فيحقق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون - ، وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقرين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة ولا تعيين العدد - إلى أن قال - : فأما الحديث المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الإيمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام، وكانت الشام والعراق دار كفر، ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عنه

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص ٩٦٥)، باب اللام، فصل الباء، ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١٧١/٢ - شاكر) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو حديث منقطع غير ثابت..

* **فاشده**: قال ابن القيم رحمه الله في «المنار المنيف» (ص ١٣٦): «ومن ذلك - يعني الأمثلة على الأحاديث الموضوعية - أحاديث الأبدال والأقطاب، والأغوات، والنبءاء، والنجباء، والأوتاد كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم».

عليه السلام أنه قال : « تمرق مارقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق »^(١) فكان عليٌّ وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام ، فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام ؟ هذا باطل قطعاً ، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة ، فقد جعل الله لكل شيء قدراً .

والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط ، فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، ومن يتكلم بقسط وعدل دخل في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ .

والذين تكلموا باسم البدل فسروه بمعان منها : أنهم أبدال الأنبياء ، ومنها أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً ، ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ولا بأهل بقعة من الأرض .

فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعان باطلة مثل قولهم : إن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان. انتهى ملخصاً^(٢) .

(١) رواه مسلم برقم (١٠٦٥) .

(٢) هذا سبق قلم من الشارح رحمه الله في نسبة هذا الكلام إلى العز بن عبدالسلام ، فهو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : مجموع الفتاوى (١١/١٦٧ ، ٤٤١-٤٤٢) ومنهاج السنة (١/٩٤) ، والفرقان (ص٧٢-٧٤) ، والروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد الفياض رحمه الله (ص٥٥٧-٥٥٨) . .

والمقصود أن لفظة الأبدال يراد بها حق وباطل : فمراد شيخ الإسلام وغيره من العلماء : أنهم العلماء العاملون الداعون إلى دين الله المتبعون لسنة رسول الله ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وأما الجهال وأهل الغلو فمرادهم أن أهل الأرض يطلبون منهم أن يقضوا حوائجهم ، ويكشفوا ضرهم ، ويشفعوا لهم عند ربهم وهذا هو دين المشركين الذي أنزلت الكتب وأرسلت الرسل للنهي عنه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٠٦﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿١٠٨﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿١٠٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُمْ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿١١٠﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿١١١﴾ .

[انتهى الكتاب].

* * *

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم .
٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق مجموعة من المحققين .
٣. الأسماء والصفات ، للبيهقي ، مكتبة السوادي .
٤. الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين .
٥. تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى ، للمباركفوري ، اعتنى به رائد بن صبري ابن أبي علفة ، بيت الأفكار ، في مجلدين .
٦. تفسير ابن كثير ، تحقيق سامي السلامة ، دار طيبة .
٧. تفسير البغوي ، دار ابن حزم مجلد .
٨. تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبدالله التركي ، دار هجر .
٩. جامع البيان في تفسير القرآن، للإيجي الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى .
١٠. الجامع للمتون العلمية ، جمع عبدالله الشمراني ، دار الوطن بالرياض .
١١. الحلية ، لأبي نعيم الأصبهاني ، نشر دار الكتاب العربي .
١٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، تحقيق الدكتور عبدالله التركي . دار هجر .
١٣. الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ زيد الفياض .
١٤. السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف بالرياض .
١٥. السلسلة الضعيفة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض .
١٦. السنة ، لابن أبي عاصم ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت .
١٧. سنن أبي داود ، بيت الأفكار ، مجلد واحد .
١٨. سنن ابن ماجه ، ط. محمد فؤاد عبدالباقي .
١٩. سنن الترمذى ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية .
٢٠. سنن النسائي ، بيت الأفكار ، مجلد واحد .
٢١. شرح السنة ، للبغوي ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي بيروت .

٢٢. شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، تحقيق أحمد شاكر دار الإفتاء .
٢٣. شرح الواسطية ، للشيخ صالح الفوزان ، مكتبة المعارف الرياض .
٢٤. شرح الواسطية ، لمحمد خليل هراس . تحقيق علوي السقاف ، دار الهجرة .
٢٥. شرح الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع الشيخ خالد المصلح ، دار ابن الجوزي .
٢٦. شعب الإيمان ، للبيهقي ، تحقيق زغلول ، دار الكتب العلمية .
٢٧. صحيح البخاري ، دار السلام ، مجلد واحد .
٢٨. صحيح الجامع ، للشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي .
٢٩. صحيح سنن ابن ماجه ، للألباني ، مكتبة المعارف .
٣٠. عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث ، لابن تيمية ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، طبع عام ١٤١٩ .
٣١. العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني ، تحقيق رضا الله بن محمد المباركفوري ، دار العاصمة .
٣٢. العلامة المحقق والسلفي المدقق ترجمة حياة الشيخ فيصل آل مبارك ، ليفصل البديوي ، دار البخاري .
٣٣. العلل المتناهية ، لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية .
٣٤. علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام ، دار العاصمة .
٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، دار السلام والطبعة السلفية .
٣٦. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور عبدالرحمن بن عبدالكريم يحيى ، دار الفضيلة .
٣٧. القاموس المحيط مجلد ، طبع مؤسسة الرسالة .
٣٨. القصد السديد على كتاب التوحيد ، للشيخ فيصل آل مبارك ، تحقيق عبدالإله ابن عثمان الشايع ، دار الصمعي ، ١٤٢٦ .
٣٩. كتب أثنى عليها العلماء ، المجموعة الأولى ، لعبدالإله ابن عثمان الشايع ، دار الصمعي .
٤٠. المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل المبارك ، لمحمد بن حسن آل مبارك .

٤١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب الشيخين عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد .
٤٢. المحرر الوجيز ، لابن عطية ، دار ابن حزم ، مجلد واحد .
٤٣. المستدرک على الصحيحين للحاكم، الطبعة الهندية، تصوير دار المعرفة ببيروت .
٤٤. مسند أبي يعلى ، دار المأمون للتراث .
٤٥. مسند الإمام أحمد ، اليمينية ، تصوير مؤسسة قرطبة .
٤٦. مسند الإمام أحمد ، تحقيق أحمد شاکر ، دار المعارف بمصر .
٤٧. مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق مجموعة من الباحثين .
٤٨. مشاهير علماء نجد ، للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .
٤٩. معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، لعلي جواد الطاهر .
٥٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، لأبي العباس لقرطبي، دار ابن كثير .
٥١. المنار المنيف ، لابن القيم ، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية .
٥٢. منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٥٣. المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج ، للإمام النووي ، بيت الأفكار ، مجلد واحد .
٥٤. نصيحة جامعة ووصية نافعة ، للشيخ فيصل المبارك ، تحقيق د. عبدالعزيز الزير .
٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، دار الكتب العلمية .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة المحقق
٤	ثناء العلماء على العقيدة الواسطية
٥	شروح العقيدة الواسطية
٩	ترجمة المؤلف
٩	جهود الشيخ - رحمه الله - في نشر العقيدة الصحيحة
١٠	جهود الشيخ - رحمه الله - في التأليف
١٧	وفاته
١٨	أهمية الكتاب
١٩	وصف النسخة الخطية
٢١	صورة المخطوطة
٢٣	الكتاب المحقق
٢٥	اعتقاد الفرقة الناجية
٢٧	الجمع بين النفي والإثبات في وصفه تعالى
٢٨	تفسير سورة الإخلاص
٢٩	تفسير آية الكرسي
٣٠	إحاطة علمه بجميع مخلوقاته
٣٢	إثبات السمع والبصر لله سبحانه
٣٤	إثبات المشيئة والإرادة لله سبحانه
٣٥	إثبات محبة الله ومودته لأولياته على ما يليق بجلاله
٣٧	إثبات اتصافه بالرحمة والمغفرة سبحانه
٣٩	ذكر رضى الله وعضبه وسخطه وكراهيته وأنه متصف بذلك
٤١	ذكر مجيء الله لفصل القضاء بين عباده على ما يليق بجلاله
٤٤	إثبات الوجه لله سبحانه

الصفحة	الموضوع
٤٤	إثبات اليبدين لله تعالى
٤٤	إثبات العينين لله تعالى
٤٧	إثبات السمع والبصر لله سبحانه
٥١	إثبات المكر والكيد لله تعالى على ما يليق به
٥٤	وصف الله بالعفو والمغفرة والرحمة والعزة والقدرة
٥٦	إثبات الاسم لله ونفي المثل عنه
٦٠	نفي الشريك عن الله تعالى
٦٦	إثبات استواء الله على عرشه
٧٢	إثبات علو الله على مخلوقاته
٧٥	إثبات معية الله لخلقه
٩٢-٨١	إثبات الكلام لله تعالى
٩٣	إثبات تنزيل القرآن من الله تعالى
٩٦	إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
١٠١	الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من السنة
١٠١	ثبوت النزول الإلهي إلى سماء الدنيا على ما يليق بجلاله
١٠١	إثبات أن الله يفرح ويضحك ويعجب
١٠١	إثبات الرُّجل والقَدَم لله سبحانه
١٠٢	إثبات النداء و الصوت والكلام لله تعالى
١٠٣	إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه
١٠٥	إثبات معية الله تعالى لخلقه وأنها لا تنافي فوق عرشه
١٠٥	إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
١٠٦	موقف أهل السنة من الأحاديث التي فيها إثبات الصفات الربانية ..
١٠٦	مكانة أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة
	وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ومعيته
١١٠	لخلقه وأنه لا تنافي بينهما

الصفحة	الموضوع
١١٠	وجوب الإيمان بقرب الله من خلقه وأن ذلك لا ينافي علوه وفوقيته
١١١	وجوب الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة
١١١	وجوب الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ومواضع الرؤية ...
١١٢	ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر
١١٣	حوض النبي ﷺ ومكانه وصفاته
١١٣	الصراط : معناه ومكانه وصفة مرور الناس عليه
١١٣	القنطرة بين الجنة والنار
١١٣	شفاعات النبي ﷺ
١١٤	إخراج الله بعض العصاة من النار برحمته وبغير شفاعته
١١٤	الإيمان بالقدر ومراتب القدر
١١٧	حقيقة الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة
١١٨	الواجب نحو الصحابة وذكر فضائلهم
١١٩	منزلة أهل البيت النبوي عند أهل السنة والجماعة
	تبرؤ أهل السنة والجماعة مما يقوله أهل البدع والضلالة في حق
١٢٠	الصحابة وآل البيت
١٢١	موقف أهل السنة والجماعة من كرامات الأولياء
١٢٢	صفات أهل السنة والجماعة
	بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي
١٢٣	يتحلّى بها أهل السنة
١٢٤	معنى الأبدال
١٢٩	فهرس المراجع
١٣٢	فهرس الموضوعات

صدر للمحقق

- ١- إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد للشيخ حمد بن عتيق . (تحقيق) دار أطلس الخضراء .
- ٢- آراء ابن القيم حول الإعاقة . دار الصمعي .
- ٣- آراء ابن تيمية حول الإعاقة . دار الصمعي .
- ٤- آراء ابن قدامة حول الإعاقة . دار الصمعي .
- ٥- التعليقات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ فيصل المبارك (تحقيق) دار الصمعي .
- ٦- الدر النضيد على أبواب التوحيد للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) . دار الصمعي .
- ٧- عناية العلماء بكتاب التوحيد . دار طيبة .
- ٨- فتاوى عن الكتب . دار الصمعي .
- ٩- القصد السديد على كتاب التوحيد للشيخ فيصل المبارك (تحقيق) دار الصمعي .
- ١٠- كتب أثنى عليها العلماء - قسم العقيدة - المجموعة الأولى . دار الصمعي .
- ١١- كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) دار الصمعي .
- ١٢- اللؤلؤ الثمين من فتاوى المعوقين . مجلدان . دار الصمعي .
- ١٣- مختصر كتاب نكت الهميان في نكت العميان للصفدي . دار الصمعي .
- ١٤- ملخص منهاج السنة للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (تحقيق) مكتبة الرشد .

